عاشوراء

في فكر الإمام الخامنئي

السيد علي خامنئي

دار الرسول الأكرم (ص)

دار المحجة البيضاء

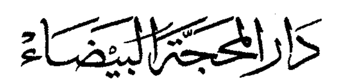
عاشوراء

في فكر الامام الخامنئي

ترجمة

ماجد الخاقاني

دار الرسول الأكرم (ص)



الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م



بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك ـ شارع القسيس هاتف: ٠٣/٨١٤٢٩٤

ص. ب ١١/٨٦٠١ ـ فاكس: ٦٠١٠١٩ ـ ٥٥٢٩٩٨

مقدّمة المترجم

شهد التاريخ الاسلامي منذ انطلاق البعثة النبوية جولات عديدة من الصراع كانت أُولاها المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ ضد المشركين واليهود والذين أبواْ إلّا ابتعاداً عن دين الله ورسالته، ثمّ المعارك التي خاضها أمير المؤمنين عليه السلام ضد قوى التزييف التي قادها معاوية في الشام والتي نَحت بالاحكام الاسلامية منحىً يصب في الاتجاه المعاكس الذي اريد لها ويفسر أحاديث الرسول ﷺ والروايات الاسلامية لصالح بني أُمية وقطبهم، وقد ظهر ذلك في معركة صفين حينما قُتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه واستحضر المسلمون قول النبي ﷺ له: «ستقتلك الفئة الباغية» فبادر أهل الشام إلى افتعال تأويل غريب لهذا الحديث المتسالم عليه فقالوا: «انّ الذي قتله هو الذي أخرجه»، أي الامام علي عليه السلام، وجولة أُخرى كان بطلها الامام الحسين عليه السلام الذي واجه وضعاً متردياً وبائساً في الأُمّة هو في الحقيقة من تداعيات العهد الذي سبقه، فإذا بالسيوف التي شهرها رسول الله ﷺ والمسلمون الأوائل بوجه الكفر والشرك تُشهر بوجه أهل البيت الذين هم وديعة رسول الله ﷺ، والمنابر التي هي مدارس ارشاد وهداية تتحول إلى أعواد يقف عليها وعاظ السلاطين لتحريف التعاليم الاسلامية والمبادىء الاساسية التي جاء بها النبي ﷺ بعد هيمنة الأطماع الدنيوية وروح التخاذل على الأُمّة.

لقد تعددت المواقف ازاء حركة الحسين عليه السلام فمن معارض مندد هاله وقع الدماء التي ستسيل والارواح التي ستزهق والتشتت الذي ستصاب به الأُمّة، ومن

محايد زعم انّ ذلك صراع بين جناحين يتنافسان على السلطة وهو امتداد لصراع تاريخي محتدم بين بني هاشم وبني اُمية ، وهنالك ثلة وقفوا إلى جانب الامام الحسين عليه السلام بكل كياناتهم لما وجدوا فيه من شرعية ووجوب اطاعته ، وهذا الاختلاف في المواقف انما ينم عن حالة التردي التي استفحلت عند الأُمّة في ذلك الزمان وإلّا فانّ الحسين عليه السلام ليس بتلك الشخصية التي يشوبها الغموض أو ممن دار الجدل حول سلوكيته ومواصفاته الاخلاقية كي تختلف الأُمة حوله لا سيما وهي قريبة عهد بالرسول صلى الله عليه وآله ولما تزل ذاكرتها محمّلة بتلك المشاهد الرائعة التي رسمها الرسول صلى الله عليه وآله وتصوّر حبّه وتعلّقه بسبطه الحسين عليه السلام ، فمن المحال أن يقدم أبو عبدالله عليه السلام على خطوة تخالف مبادىء جدّه أو من شأنها تبديد ما بناه صلى الله عليه وآله ، وان يصبح يزيد مناصراً للحق وحريصاً على الاسلام ومبادئه وهو سليل اولئك الذين لم يسلموا إلّا بعد أن نزل سيف علي عليه السلام مراراً على خراطيمهم ناهيك عن ممارساته المناهضة لروح الدين .

اذن ، المتتبع لمسيرة الاسلام يجد ان البناء الذي شيّد صرحه النبي صلى الله عليه وآله ونظراً لمروره بأدوار ومراحل متعددة اصيب بصدع هائل كاد أن يزيل جوهره ويقضي على حقائقه ويجعله غلافاً يفتقد المعنى ، فكان على الحسين عليه السلام أن يرمم ذلك الصدع الهائل ويعيد قواعد البناء إلى سابق عهدها ، فإذا كان محمد صلى الله عليه وآله قد بنى الاسلام وارسى قواعده فالحسين عليه السلام جدّده وأحياه .

لقد حفلت الكتب والتصانيف الكثيرة بتحقيقات ودراسات مطولة ومستفيضة عن هذه النهضة وصاحبها وتنوعت الرؤى والنظريات بشأنها . إلّا انّها بقيت بحجمها سرّ لا تطاله التكهنات وبحرٌ متلاطم لا يقحمه الغائصون في بحار المعرفة .

وهذا الكتاب هو مجموعة خطابات تناول فيها قائد الثورة الاسلامية سماحة الامام المجاهد السيد علي الخامنئي قضية عاشوراء في جانب مهم منها وهو الدروس والعبر المستوحاة من هذه الواقعة . والحقيقة انّه «حفظه الله» أراد أن يصيب كبد الحقيقة وجوهر القضية ويحذّر من الوقوع بنفس تلك الاوبئة التي اصابت المجتمع الاسلامي بعد رسول الله ﷺ ويقول بأعلى صوته : ما دام هنالك حقّ وباطل في كلّ عصر وزمان فهنالك حسين ويزيد وعلى الأُمّة التحلي بالفطنة والذكاء لاختيار الموقف المناسب .

ولم تزل عاشوراء تحتفظ بالكثير مما أراد الإمام الحسين عليه السلام قوله للبشرية ، ومما استهدفه من ثورته العملاقة ، ولم يزل نداؤه «**والله لا أُعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا اقرّ اقرار العبيد**» يدوّي في سماء المسلمين بل البشرية باجمعها ليأخذ بيدها نحو العزّة والكرامة .

ماجد الخاقاني

١٣ / جمادى الاولى / ١٤٢٠ هـ

المقدّمة

كل يوم عاشوراء وكل ارض كربلاء

لم تكن النهضة الحسينية حدثاً عابراً تحدده برهة من الزمن او بقعة من الارض، ولا حركة كسائر الحركات المادية الضيّقة الآثار والمعطيات، بل هي ثقافة الهية وتاريخ متعدد الفصول والمقومات لها من المعطيات والثمار ما جعل من العسير انكارها على مر العصور وعلى امتداد بقاع المعمورة.

لقد بذل حكام الجور ممن تربعوا على سدّة الحكم وامسكوا بزمام الشعوب ظلماً في الامصار الاسلامية محاولات لاخماد جذوة هذا النبراس أو التضييق عليه للحد من تأثيراته والمحافظة على انظمتهم اللاشرعية بمنأىً عن تأثيرات النهضة الحسينية، ومنذ ان وطأ الغرب المعتدي باقدامه ارض المسلمين لاسيما مركز التشيع في ايران وإثر ما قام به من دراسات ومطالعات، توصل إلى الجذور التي انطلقت منها واقعة عاشوراء ومردوداتها لدى الامة ومدى الحب والتعلق الذي تكنّه الامة للحسين عليه السلام اسماً وذكراً، فبذل مساعٍ جبارة لتحريفها أو الحط من اهميتها.

إن اي مستكبرٍ او طاغوت أو غاصب لا يروق له رؤية اسم وذكرى واقعة يغليان ويتفاعلان بين الامم فيتمخض عنهما حالة من اليقظة والرفض للاعداء،

ووعيٌ ديني وعشق للولاية، والتحلي بالشجاعة والتضحية والايثار وتزدهر الأجواء بآلاف من مشاعل الهداية والنور، وعلى العكس منهم يقف ائمة الهدى والمصلحون والافذاذ من العلماء ودعاة الاسلام المنادون بالسعادة للانسان، حيث بذلوا جهوداً مضنية لصيانة هذه النهضة وذكرها، وان مابقي عند البشرية من فضائل وانوار وكمالات وكرامات واضفى على تاريخها الكالح قيمة وجعله يستحق الدوام، انما هو من بركات واقعة عاشوراء ونفحات تربة كربلاء.

وفي عصرنا الراهن تعهد رضاخان بالقضاء على مجالس التعزية التي تقام لسيد الشهداء عليه السلام، فعمد بادى ذي بدء الى خديعة الجماهير عن طريق تسيير مواكب العزاء داخل الثكنات العسكرية وانزال العسكر الى الشوارع على هيئة مواكب كي يموّه بولائه والترامه بالاسلام واهل البيت عليهم السلام، ولمّا هيمن على مقدرات السلطة بادر الى تنفيذ مهمته الاساسية فاصدر الاوامر بمنع مجالس رثاء سيد المظلومين، ولم يكتف بذلك وانما شنَّ هجوماً عنيفاً ضد الحوزات العلمية وعلماء الدين لما كان يرى فيهم من أنهم حملة لواء عاشوراء والسائرون على خطها، بحيث كان الطلبة يتوجهون صباحاً الى الصحراء للدراسة بعيداً عن انظار مرتزقة رضاخان ثم يعودون مساءً الى منازلهم. وقد ادلى الامام الراحل قدس سره الذي كان في تلك الفترة مشغولاً بالدراسة الحوزوية بذكرياته المرّة عن الممارسات القمعية لرضاخان، ولغرض تقديم شرح دقيق عن تاريخ ايران المعاصر والدور الذي قام به الاجانب في رسمه، فقد كشف عن جوانب مظلمة من جور رضا خان.

وقد تواصل المخطط والمهمة التي كان رضا خان قد اضطلع بهما، وذلك اثناء العهد السلطوي لمحمد رضا بهلوي من خلال ممارسته التدليس والخداع

مستعيناً بما تحت هيمنته من وسائل اعلام مؤثرة. فيما برهن الشعب الايراني من خلال اتباعه للواعين من العلماء تمسكه والتزامه بتراثه النفيس في اقامة مجالس عزاء سيد الشهداء عليه السلام، وقد اثار الامام الخميني قدس سره مستثمراً الاشعاع التربوي والحماسي والسياسي لواقعة كربلاء والملحمة الحسينية، روح الشجاعة لدى الجماهير لاسيما جيل الشباب فافلح في ارساء قواعد اعظم نهضة على امتداد القرون المتأخرة، متمثلة بتحطيم النظام البهلوي المتفرعن بالرغم مما كان يحظى به من دعم واسناد عالميين، ومن ثم اقامة نظام ديني يقوم على اساس التعاليم الاسلامية النيّرة. والامام قدس سره انما استطاع قيادة الثورة الاسلامية في ايران وتشييد صرحها مسترشداً بدروس عاشوراء ورسالتها ليزلزل بذلك صرح الاستكبار العالمي.

ولقد توارث الشباب دروس عاشوراء ونداءاتها عن طريق مواكب العزاء ومآتم سيد الشهداء عليه السلام التي تقام من قبل الخطباء والمداحين، فكانت توثّق محبتهم لاهل البيت عليهم السلام وتجعلهم اكثر وعياً ازاء الممارسات الجائرة لطواغيت العصر وتثير فيهم روح التضحية والايثار.

ومما يؤكد اهمية هذه المراسيم وصايا الامام الراحل قدس سره وتوجيهات قائد الثورة الاسلامية الداعية الى اقامتها باسلوبها المتعارف وبعيداً عن بعض الممارسات التي من شأنها تشويه الاسلام من قبيل التطبير.

ان احياء ذكرى عاشوراء وتضحيات الثلة القليلة من ابطال كربلاء تمثل احياءً للاسلام المحمدي الاصيل، اذ ان نهضة الامام الحسين عليه السلام أحيت الاسلام وصانته، وان احياء ذكرى عاشوراء سيكون له ذات الاثر.

باشتداد الغزو الثقافي الواسع الذي شنّه اعداء الاسلام بادر قائد الثورة

الاسلامية إلى فتح بحث يحمل عنوان «دروس عاشوراء» والى جانب تحليله الصائب لواقعة عاشوراء ذات الاثر الاعجازي في التحفيز لبناء النفس والمجتمع، فقد طرح رؤية حديثة لواقعة عاشوراء تمثل مصداقاً واقعياً للمفهوم الذي يحمله شعار، «**كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء**»، وقام بتحليل وبحث العوامل التي ادّت الى وقوع هذه المصيبة الاليمة التي حلّت بالأُمّة الاسلامية معنوناً إياها بـ«دروس عاشوراء».

واليوم حيث استتب الامر للحكومة الاسلامية في ايران وتولت أمر هداية الامة وبالذات جيل الشباب وبناء صرح الحضارة الاسلامية الحديثة مستلهمة العبر من ملحمة كربلاء والاستقامة الحسينية، فما يتحتم اخذه بعين الاعتبار هو «دروس عاشوراء» التي قلّ ما احيطت بالعناية اثناء العهود التي شهدت تسلط الطواغيت اذ ان استقاء العبر من عاشوراء ومعرفتها معرفة صحيحة وتامة من شأنه صيانة النظام الاسلامي من الآفات المماثلة ويحول دون تكرار واقعة كربلاء.

وبالعودة الى احاديث ولي امر المسلمين يتسنى استشفاف الملاحظات التالية فيما يتعلق بدروس عاشوراء:

١ ـ دور الخواص في تقرير مصير المجتمع الاسلامي ووقوع كارثة عاشوراء والحوادث المماثلة لها.

٢ ـ دور القيم الاسلامية الرفيعة والالتزام الواعي والشديد بها في تكامل المجتمع ورقيّه، وبالعكس من ذلك الاثر الذي يتركه التلاعب بالقيم وضعف الالتزام بها في انهيار المجتمع وبلورة واقعة كربلاء الاليمة.

٣ ـ العوامل والاسباب التي ادّت الى تدنّي الايمان وشيوع الفساد والرذائل

في المجتمع.

٤ ـ حب الدنيا ودوره في انحراف الخواص من انصار الحق.

٥ ـ العوام وافتقارهم الفهم الصحيح للزمان والمكان واتباعهم اللاواعي للخواص.

ثم تصويره للمجتمع الذي شيّده رسول الله ﷺ على اربع دعائم هي المعرفة الشفافة المجردة من الغموض، العدالة المطلقة، العبودية المطلقة المجردة من الشرك، والمحبّة والعواطف الجياشة، وتأكيد الرسول ﷺ على ضرورة استمرار هذا الصرح عن طريق اسناد منصب الامامة للامام علي بن ابي طالب عليه السلام وهذا ما لم يتم تطبيقه بسبب مؤامرة السقيفة، ومن خلال بيانه للمكانة التي تبوأها الحسين بن علي عليهما السلام في عهد رسول الله ﷺ والسنوات الخمسين التي اعقبت رحيله، يشير سماحته الى هول وفداحة فاجعة كربلاء كي تتجلى اكثر ضرورة الاعتبار والتدبر الدقيق في تحليل الاسباب التي آلت الى وقوع هذه الحادثة المريرة تحليلاً صحيحاً.

وقد اشار سماحة القائد الخامنئي في بحثه الجديد الى بعض الصحابة والخواص الذين وقفوا الى جانب الحق لكنهم وقعوا اسرى حب الدنيا مع مرور الزمن وابتعدوا عن جادة الحق بل وقفوا بوجهه. فيوجه بعض التحذيرات فيما يتعلق بالخواص منها:

١ ـ ان ابتلاء الخواص بالدنيا واللهاث وراء زخارفها من مال وشهرة وشهوة وجاه ومنصب، انما انطلق منذ حصول الصحابة الذين سجّلوا حضوراً في ميادين الجهاد على الامتيازات بعد الانحراف الذي طرأ في خلافة المسلمين، وما يحظى ببالغ الاهمية في هذا المضمار هو معرفة الدنيا وكيفية التنعم بها دون

الالتصاق بها والانشداد اليها وذلك للحيلولة دون اعادة المصير الذي لاقاه الخواص ممن انزلقت اقدامهم. وللتوفر على امكانية التجرّد عن الاهواء والعلاقات الدنيوية والمبادرة لمناصرة الحق في الوقت المناسب.

٢ ـ ضرورة اتخاذ القرار المناسب والتحرك الصائب من قبل الخواص لغرض المحافظة على القيم الدينية والنظام الالهي في المجتمع. فهنالك البعض من الخواص ممن كان يتعين تواجدهم في الميدان تغيّبوا نتيجة بعض التحليلات الخاطئة، وحينما ادركوا خطأ حساباتهم التحقوا بالمسيرة، وبالرغم مما قدموه من تضحيات إلّا انها لم تترك الاثر المنشود لاصلاح المجتمع وتخليد مسيرتهم. ومن خلال طرحه لنماذج من الحركات المتخلفة يلفت سماحته انتباه الخواص الى جسامة مسؤولياتهم.

٣ ـ المحافظة على الروح المبدأية والشعارات والمواقف الايمانية واستمرار الهمة العالية والشعور الديني، وان اي تهاون او ضعف في هذا المجال ستكون له عواقب وخيمة بالنسبة للمجتمع الاسلامي.

فعلى الخواص ان يعلموا ان العوام يقتفون آثارهم وذلك للمزايا المتوفرة لدىالخواص، فلا شك في أن سلوك الخواص وتصرفاتهم وكلامهم وعواطفهم وتوجهاتهم هي التي تُسيّر العوام حيثما سارت. من هنا فان ضعف القيم والتلاعب بها والابتعاد عن المبادىء انما هو ثمرة لحركة الخواص ولا شك في ان حركة العوام تلقي بمسؤولية جسيمة على عاتق الخواص.

والى جانب تناول سماحته لـ«دروس عاشوراء» وتسليط الاضواء على قضية الخواص وتأثيرهم في تقرير مصير المجتمع والتمهيد لوقوع حادثة عاشوراء في اطار البحث حول الغزو الثقافي الغربي الذي يستهدف ايمان الامة

وجيلها الناشيء، فانه يطرح موضوعين مهمين ومترابطين احدهما موضوع المتنورين وتاريخهم، اما الآخر فهو الحرية والصحافة اللتان تتعرضان للتآمر من قبل الاعداء، وربما يتسنى من خلال وضع هذه الموضوعات الى جانب بعضها البعض، الاستنتاج بان المتنورين الذين لازالوا يعيشون اجواء ما قبل انتصار الثورة الاسلامية وتراودهم الاماني بالعودة الى انحرافات الماضي، يحاولون عن طريق تشبثهم بحرية الصحافة وحريتها زعزعة ايمان الامة بالمبادى والقيم الاسلامية ونظامها الاسلامي الولائي، وفي مثل هذا الوضع يتعين على «خواص الثورة» تشخيص الصديق من العدو والحراب التي يتسلح بها الاعداء ومن ثم المبادرة الى التحرك المناسب للحيلولة دون ان يطال الوهن عواطف الامة وتفقد القيم رونقها ويتزعزع ايمان الجيل الصاعد نتيجة شيوع الفساد والانحراف وانتشار المنكرات.

ان الاهتمام بالدنيا ومادياتها والجاه والمنصب والتشاحن والتصارع بين الاجنحة والتأثر بالالاعيب السياسية ومناغاة الاجانب في مواقفهم الايجابية تجاه النظام الاسلامي، كل ذلك لا يدع مجالاً امام الخواص لمعرفة احابيل العدو وانتهازيته، وفي هذه الحالة يفقد المعروف رونقه فيما تتجذر المنكرات وتفعل الخطايا والوساوس والشبهات فعلها في اضعاف ايمان الجماهير، حينذاك يصبح تكرار حادثة عاشوراء امراً حتمياً اول ضحاياه الخواص انفسهم.

لقد اثبت المتنورون على مدى تاريخهم حتى انتصار الثورة الاسلامية فشلهم في تحمل مسؤولية قيادة الامة في كافة الميادين سياسياً وثقافياً واجتماعياً وفي سائر شؤون البلاد، فطالما وقعوا ضحية حيل الاجانب فاهدروا المصالح الحيوية للامة بتوقيعهم على المعاهدات المشينة، والانكى من ذلك انهم

جعلوا من دين هذه الامة وثقافتها ميداناً تصول به الشبهات والافكار الغربية الهدامة، وبالرغم من نجاح الثورة في احداث تطور مهم على هذا الصعيد واستبدال هؤلاء بالمثقفين المتدينين إلّا ان العدو يسعى جاهداً للعودة باولئك الى حيث كانوا راكسين بتلك الامراض المزمنة متشبثاً بمئات الاساليب والحيل.

ان الانفصال عن الجماهير وهجران الدين ومناهضة التعاليم الالهية والعمالة للاجنبي والذيلية له هي علائم ذلك المرض المزمن الذي تسعى الثورة الاسلامية ايجاد العلاج الناجح له، فاليوم تُشاهد في الجامعات حركة محمومة للتغرب ونلمس في المجتمع والصحافة محاولات اعادة البناء من قبل رموز التغرب والوطنية الذيليين والخونة، فما الذي سيحصل لو استلهمت الامة تاريخها ومعارفها ومصالحها عن طريق ما يتفوه به هؤلاء؟ وأي شبهات وشكوك تثيرها الصحافة العميلة في صميم معتقدات الامة وبالذات في أوساط الشباب والطلبة وايمانها باصول النظام الاسلامي عند طرحها للعناصر المتميزة بعمالتها لاعداء الامة على انهم مثقفون ومتحررون، وماهي العواقب التي ستنجم عن ذلك؟

ثمة مؤامرة تحاك وتتمثل بالقضاء على ايمان الامة وبالذات جيل الشباب الذين يمثلون مصدر الاندفاع والعواطف الجياشة وعماد التواجد في السياسة ومادة التضحيات والجهاد والطهارة والزهد والاخلاص ومعين الاستقلال. وثمة منادٍ يوجه خطابه محذراً الضمائر الواعية لثلاث من طبقات المجتمع هي:

- الخواص، مؤكداً على ضرورة ايفائهم لدورهم المؤثر في مواجهة هذه المؤامرة.

- الشباب والطلبة والمسؤولون، وينبههم الى ضرورة التزام جانب الحيطة

من الابتلاء بهذا الوباء المتمثل بالتغريب والعمالة والتخلف عن مسيرة الامة، فهنالك ايدي تعمل في الخفاء لاعادة الثقافة الدينية التي هي من معطيات الثورة الاسلامية الى مرحلة ما قبل انتصار الثورة الاسلامية.

ـ المسؤولون، حيث يحذرهم من المطبوعات التي تدار من قبل ايدٍ آثمة ذات تاريخ فكري وسياسي اسود، فيروجون للحرية التي يدعو لها الغرب، تلك الحرية القائمة على الاستعمار والتشبه بالحيوانات وتعدّ مصدراً للفساد والخطايا والمنكرات.

ان رأس الحربة في الغزو الذي يستهدف ايمان الجماهير لاسيما الشباب هم المتنورون العملاء والمرضى الذين ينفذون اوامر الاستكبار الغربي مستعينين بما متوفر لديهم من وسائل تعليمية والاجواء السائدة في الجامعات والصحافة ووسائل الاعلام ومتشبثين بالحرية لغرض تحقيق مآربهم، وان شرائح المجتمع باسرها والمسؤولين على وجه التحديد هم المخاطبون بهذه التحذيرات الحكيمة التي اطلقها قائد الثورة الاسلامية، والجميع مكلّفون بايفاء المسؤوليات الملقاة على عواتقهم وان اي تقاعس في ذلك عاقبته الندم وشماتة الاعداء، واذا ما آل الى تكرار واقعة كربلاء على صعيد كربلاء ايران ستلاحقهم لعنة الاجيال وسيحيق بهم العذاب الالهي الاليم.

وشعوراً منّا بالمسؤولية المناطة بنا واستمراراً لجهودنا في عرض وتدوين الكتب المتعلّقة بالخواص والمقاطع التاريخية الحساسة والدروس المستفادة من عاشوراء فقد بادرنا وبالتنسيق مع العلاقات العامة في مكتب قائد الثورة الاسلامية الى جمع خطابات سماحته بهذا الشأن وتنظيمها على ثلاثة فصول هي:

طبيعة واقعة كربلاء ودوافع الامام الحسين عليه السلام في النهضة، دروس عاشوراء ورسالتها، والعبر المستوحاة من عاشوراء، آملين ان يكون هذا الكتاب خطوة اولى في طريق نيل البصيرة الضرورية لمواجهة المؤامرات بعونه تعالى. ولا يسعنا إلّا تقديم وافر التقدير للعلاقات العامة في مكتب قائد الثورة الاسلامية لما بذلوه من عون في تحرير هذا الكتاب ومطالعته وتصحيحه.

مؤسسة قدر الولاية الثقافية

الفصل الأوّل

شخصية الامام الحسين عليه السلام
وواقعة عاشوراء

الامام الحسين عليه السلام مغناطيس القلوب[1]

الامام الحسين ... الاسم والأثر

ايّها الاعزاء، ان اسم الامام الحسين عليه السلام لهو اسم عجيب، فاذا ما نظرنا اليه من زاوية عاطفية سنجد ان اسم ذلك الامام يمتاز بين المسلمين بجاذبيته المغناطيسية، صحيح ان بين المسلمين مَنْ لا نصيب لهم من هذه الحالة لكنهم في واقع الامر محرومون من معرفة الامام الحسين عليه السلام وهنالك افراد لا يعدّون من شيعة هذا البيت لكن بينهم الكثيرون ممن تنهمر دموعهم وتهفوا افئدتهم لذكر الامام الحسين عليه السلام، فلقد اودع الباري سبحانه في اسم الامام الحسين عليه السلام اثراً ما جعله يثير حالة من الروح المعنويّة في افئدة وارواح ابناء الشعب الايراني وسائر الشعوب بمجرد ان يرد ذكره، وهذا هو التجلي العاطفي لتلك الذات القدسية.

وكذلك كانت مكانته بين اولي البصيرة من الصحابة، وفي بيت النبي الاكرم(عليه وعلى آله آلاف الصلاة والسلام) وبيت أمير المؤمنين عليه السلام، فكما يستشف المرء من الروايات واخبار التاريخ، كانت لهذا الوجود المعزز ميزة خاصة، وكان موضع حبّ ومودة وبقي كذلك حتى يومنا هذا.

وهكذا حاله من الناحية العلمية، وان اسمى المعارف وارقى مسائل العرفان الواردة في كلام ذلك العظيم تتمثل في دعائه يوم عرفة، فلو أمعنّا النظر

---

(١) لقاء قائد الثورة الاسلامية مع قادة ومنتسبي حرس الثورة الاسلامية وقوى الامن الداخلي بمناسبة يوم الحرس الثوري في ٣ شعبان ١٤١٦هـ.

فيه لوجدناه نظيراً لزبور آل محمد ﷺ زاخراً بالترانيم العـذبة المـليئة بـالعشق والاثارة العرفانية، واذا مـا تـمعن المـرء بـبعض الادعـية الواردة عـن الامـام السجاد عليه السلام ويقارنها بهذا الدعاء يلمس ان دعاء الولد مـا هـو إلّا شـرح لدعـاء الوالد، اي أن هذا هو الاصل وذاك فرعه. ان دعاء عرفة وكلام هذا العظيم في يوم عاشوراء وغيرها يحمل في طياته معنىً وروحاً عجيبين، وهي تمثل بحراً زاخراً من المعارف السامية والرقيقة والحقائق الملكوتية ما قلّ نظيره إلّا في آثار اهل البيت عليهم السلام.

الامام الحسين عليه السلام قدوة الانام[1]

امير نفسه

إنّ التشبّه بالاعاظم والانتساب الى الاولياء من عمل أذكياء العالم، وكل امرء يبحث عن اسوة له، لكن التوفيق لا يحالف الجميع في سلوك منهج الصواب عند البحث عن الأسوة. ولو سألت بعض الاشخاص في هذا العالم عن الشخصية التي أثارت انتباهه واجتذبته إليها، تجدة يقتفي اثر أُناس وضيعين وتافهين أفنوا أعمارهم في عبودية هوى النفس ولا يتقنون سوى ما يغترّ به المغفّلون وهو لا يتعدى الهباء بعض السذّج والغافلين فتصبح أمثال هذه الشخصيات قدوات للناس العاديين في هذا العالم. البعض يقتدي بشخصيات سياسية وتاريخية وماشابه ذلك ويتخذها اسوة له. لكن أذكى الناس من يتخذ اولياء الله اسوة وقدوة له؛ لان من ابرز الخصائص التي يتسم بها أولياء الله انهم على درجة من الشجاعة والقوة والاقتدار بحيث يصبحون أسياداً علىنفوسهم لا عبيد اذلاء لها.

يُنسب الى احد قدامى الفلاسفة والحكماء أنه قال للاسكندر المقدوني: انت عبد عبدي، فتعجب الاسكندر من قوله وغضب عليه، فقال له: لا تغضب فأنت عبد شهوتك وغضبك؛ اذا طلبت شيئاً أو غضبت، اضطربت ولم تصبر، وهذه عبودية للشهوة والغضب، أما أنا فسخرتهما حتى صارا عبدين لي.

---

(١) لقاء قائد الثورة الاسلامية بمنتسبي حرس الثورة الاسلامية بتاريخ (٢٤/ ٩/ ١٣٧٥ هـ. ش) بمناسبة يوم الحرس الثوري.

قد تكون هذه القصة حقيقية، وقد لا تكون كذلك، إلّا أنّها صحيحة بالنسبة لأولياء الله والانبياء، ومعالم طريق الهداية الإلهية للبشرية، ومن الأمثلة عليها يوسف، وابراهيم، وموسى. وهناك أمثلة متعددة لذلك في حياة أولياء الله. وأذكى الناس هو من يتخذ هؤلاء الأعاظم وهذه الشخصيات الشجاعة المقتدرة أسوة، ويكسبون لأنفسهم عن هذا الطريق أسباب الاقتدار والعظمة باطنياً ومعنوياً.

وفيما بين هؤلاء الأولياء والأكابر أنفسهم توجد شواخص مميزة. ولا شكّ أنّ أبا عبد الله الحسين عليه الصلاة والسلام من أبرز هذه الشواخص. حقاً يجب القول أن نور الحسين بن علي عليهما السلام يسطع كالشمس لا علينا نحن الناس الترابيين الصغار فحسب بل وعلى كل عوالم الوجود وأرواح الأولياء والأكابر، والملائكة المقربين، وعلى جميع عوالم الوجود المتداخلة في بعضها، المعروفة أو المجهولة بالنسبة لنا. ومَن مشى في هدي نور هذه الشمس فقد جاء بعمل كبير سام.

تلاحظون أنّ الامام الحسين عليه السلام مع كونه سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن علي بن أبي طالب عليه السلام، وابن فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذه المزايا عظيمة بحد ذاتها وتسمو بالانسان كثيراً، اضافة الى انه قد نشأ في تلك الدار و تربى في تلك الحجور وترعرع في تلك الاجواء المعنوية والنعيم الروحي، لكنه لم يكتف بذلك. حينما رحل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان الحسين عليه السلام يافعاً في الثامنة أو التاسعة من عمره، وعند استشهاد امير المؤمنين عليه السلام كان شاباً في السابعة أو الثامنة والثلاثين وفي عهد أمير المؤمنين الذي كان عهد ابتلاء وجهد وعمل كان هذا الجوهر المستعد يتلقى التربية بالأعمال العظيمة ويتأهل على يد أبيه على الدوام حتى عاد قوياً

ومزهراً ومشرقاً.

إذا كانت همة المرء كهمتنا، تراه يقول: هذا القدر يكفيني وهو حسبي وبه ألقىٰ ربي. وهذه ليست همة حسينية.

وفي حياة أخيه المباركة حيث كان الحسين عليه السلام مأموماً واخوه الحسن عليه السلام إماماً، استمر في حركته الجبارة، وهو يسير قُدماً ويؤدي واجباته الى جانب اخيه وفي ظل طاعته المطلقة لامام زمانه. تأملوا حياته لحظة فلحظة.

مقارعة التحريف

ثم أنه واجه استشهاد أخيه. واستمرت حياته المباركة بعد هذا الحدث عشر سنوات ـ مرت عشر سنوات ونيف منذ استشهاد الامام الحسن حتى وقت استشهاده ـ لاحظوا ماذا كان يفعل الحسين عليه السلام خلال هذه السنوات العشر التي سبقت واقعة الطف.

كانت العبادة والتضرع والتوسل والاعتكاف في حرم الرسول، والرياضة المعنوية والروحية أحد اطراف القضية، وطرف آخر هو سعيه الحثيث في نشر العلم والمعرفة ومجابهة التحريف. كان التحريف آنذاك اكبر تحدّ معنوي يهدد الاسلام، ويجري كالسيل الجارف من الفساد والماء الآسن فيركد في اذهان أبناء المجتمع الاسلامي وهو عصر جرى فيه التأكيد على الولايات والبلدان والشعوب الاسلامية بلعن أعظم شخصية في تاريخ الاسلام! وملاحقة من يُتهم بموالاة أمير المؤمنين ويقول بإمامته؛ حيث ساد آنذاك «القتل بالظّنة والاخذ بالتهمة» في مثل هذه الظروف وقف عليه السلام كالطود الشامخ وخرق حجب التحريف.

واقواله وكلامه الذي يخاطب فيه العلماء ـ والذي يحتفظ التاريخ بشيء منه ينم عمّا كان يأتي به من فعلٍ عظيم في هذا المضمار.

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وتضمنت القضية طرفاً آخر وهو النهي عن المنكر والأمر بالمعروف في أرفع أشكاله، والذي جاء في كتابه الى معاوية، وهذا الكتاب حسبما أتذكر نقله المؤرخون من أبناء العامة ولا اظن الشيعة قد نقلوه ـ أي أني لم أعثر عليه من طرق الشيعة ـ وحتى ان كانوا قد ذكروه فانّما قد نقلوه منهم واستمر اسلوب الكتاب المذكور والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى خروجه من المدينة ابان حكومة يزيد، وهذا يدخل أيضاً في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حيث قال: «**أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**».

تلاحظون هذا الانسان يأتي بتلك الحركة العظيمة في مجال تهذيب نفسه وترويضها، وفي المجال الثقافي أيضاً دأب على مكافحة التحريف، ونشر الاحكام الالهية وتربية التلاميذ والشخصيات الكبيرة، وعلى الصعيد السياسي أيضاً كان يمارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم تلا كلّ ذلك جهاده العظيم الذي يتعلق بدوره في الجانب السياسي، فهو مشغول بترويض نفسه والارتقاء بها على الأصعدة الثلاثة.

ـ يا أعزائي انه قدوة وأسوة وكل هذا يتعلق بالمرحلة التي سبقت واقعة كربلاء يجب عدم التوقف لحظة، يجب التقدم باستمرار؛ فالعدو يتربص الفجوة ليتسلل، يتحيّن منكم الوقفة لكي يهجم. وأفضل الطرق لاحباط هجوم العدو واجهاض استعداده هو الهجوم عليه وتقدمكم رهين بالهجوم على العدو.

مهاجمة العدو من أعظم الاعمال

يتصور البعض ان الهجوم على العدو يعني حتماً حمل المدفع والبندقية الى موضع ما، أو رفع الصيحات السياسية. نعم هذا له ضرورته في بعض الظروف؛ اذ لابد للانسان من الصراخ السياسي، على البعض ان لا يتوهم أننا عند الاشارة الى قضية الثقافة، نوجه صرخة سياسية ضد العدو.

طبعاً هذا يلزم في موضعه أيضاً، ولكن لا نتوقف على هذا الحد. فمن أعظم الأعمال بناء الإنسان لذاته، ولأبنائه، ولمن هم تحت مسؤوليته، وللأمة الإسلامية.

ان العدو يتشبث على الدوام وما انفك يواصل سعيه لزعزعة هذا السد الهائل أو اضعافه وجعله سهل الاختراق.

العدو بكل عظمته الظاهرية الخاوية وهو الاستكبار الغربي بثقافته الجاهلية المنحطّة والسلطوية. الذي ظهر وهيمن على جميع منافذ العالم، هيمن على ثرواته الاقتصادية، والثقافية، والبشرية، والسياسية على مدى قرون، يواجه اليوم تحدياً كبيراً من الاسلام الحقيقي لا الاسلام الدعائي.

ثمة من يدّعون الاسلام طبعاً، وهم اسمياً مسلمون، يجلسون على مائدة العدو، ويدورون في فلكه، ويقبّلون الأيدي، من الطبيعي انه لا يخشى هذا الاسلام.

السد الواقعي يأتي من الاسلام الحقيقي، اسلام القرآن، اسلام **﴿لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾**. وإذا ضيّقنا الدائرة أكثر واقتربنا من مركزها، نقول هو اسلام **﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن**

لهم الجنّة﴾. اسلامكم انتم المليئة أجسادكم بشظايا القنابل، وقد بدت عليكم من قمة الرأس حتى أخمص القدم سيماء الحرب والجهاد في سبيل الله، وأشباهُكم من المضحين الأعزاء وعوائل الشهداء، أو الذين شاركوا في الحرب وعادوا ـ رغم أنف العدى ـ سالمين و هذا هو الحاجز الأساسي.

يجب مقارعة العدو

العدو ليس بغافل عن هذا المانع، وهو يماطله دوماً، وينشبُ فيه مخالبه، ويعمل فيه حيله. وعلينا التصدي لجميع ذلك ومقابلته. الحركة السعي لازمان في تهذيب النفس وبناء الذات، وهو مقدّم على ما سواه، كما فعل الامام الحسين عليه السلام، وهو سيدكم ومولاكم. وكذلك على الصعيد السياسي حيث التحرك، والأمر بالمعروف، والحضور السياسي، وفي المواضع الضرورية بيان المواقف السياسية في مواجهة العالم الاستكباري. وكذلك على صعيد الجهاد الثقافي، أي بناء الانسان، تقويم الذات، وتهذيب بناء الفكر الذاتي، ونشر الفكر والثقافة.

وهذا واجب على كل من يتخذ الامام الحسين عليه السلام قدوة له.

من دواعي السرور انّ شعبنا بأسره ينظر الى الحسين عليه السلام نظرة اجلال واكبار، وهذا شعور الكثير من غير المسلمين أيضاً.

الحسين عليه السلام يواجه الدنيا باكملها

نصل الآن في الحديث الى كربلاء التي تحظى بأهمية كبيرة لاعتبار آخر، وهي درس لمن يريد أن يتخذ من هذا الامام أُسوة. أنتم ترون يا أعزائي أن الوقت الذي استغرقته واقعة كربلاء لم يتجاوز نهار أو زاد عليه قليلاً، استشهد

فيها اثنان وسبعون وربما يزيدون أو يقلّون، في حين انّ هنالك الكثيرين في الدنيا ممن استشهدوا ويستشهدون، لكنكم تشاهدون عظمة واقعة كربلاء وشموخها ـ وهي اهل لهذا الشموخ والعظمة، بل هي أسمى وأعظم ـ وقد نفذ أثرها وبركاتها في عمق الوجود البشري، فلم يكن إلّا لحقيقة وروح هذه الواقعة، فجسم القضية لم يكن ذا حجم يذكر، فهناك أطفال قتلوا في كل بقعة من العالم، بينما قتل في كربلاء رضيع لستة اشهر. الاعداء أبادوا الأهالي في بعض الاماكن وقتلوا مئات الأطفال. القضية ليست مطروحة هنا في بعدها المادي، بل تكمن اهميتها في روحها ومعناها.

روح القضية هي ان الامام الحسين عليه‌السلام لم يكن يواجه في تلك الواقعة جيشاً كبيراً جرّاراً ولم تكن مواجهته مع الجمع الغفير ـ وان زاد عدده مائة ضعف ـ بل ان مواجهة الامام الحسين عليه‌السلام مع عالم من الانحراف والظلمة، وهذا هو المهم. وهو في الوقت الذي كان يواجه فيه ذلك العالم من الظلمة والظلم والانحراف، كان ذلك العالم يملك كل شيء، ولديه المال والذهب والقوة والكتّاب والشعراء والمحدثون والخطباء ويا له من موقف رهيب، ترتعد له فرائص الانسان، ولكن لم يرتعش للامام الحسين قلب ولا قدم، ولم تساوره مشاعر الضعف ولم يتردد وبرز الى الميدان وحيداً فريداً، عظمة القضية تكمن في ان القيام كان لله.

يمكن تشبيه موقف الامام الحسين عليه‌السلام ومقايسته مع موقف جده رسول الله محمد بن عبد الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم حين بعثته، فكما واجه النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم هناك عالماً بأسره، وقف الامام الحسين في كربلاء بمواجهة عالم بأسره. فالرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لم يعتريه أي خوف، بل صمد وسار الى الامام، وكذلك الحال بالنسبة للامام الحسين الذي

لم يرهبه شيء بل ثبت وسار قدماً. الحركة النبوية والحركة الحسينية كدائرتين متحدتين في المركز متجهتين نحو مسار واحد. وهنا يتجلى معنى «**حسين منّي وأنا من حسين**». هذه عظمة موقف الامام الحسين.

عندما قال الحسين عليه السلام ليلة العاشر من محرم: «**اذهبوا فأنتم في حلّ منّي وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل واحد منكم بيدِ واحد من أهل بيتي فالقوم انّما يطلبوني...**»، لم يكن يمزح في قوله ذاك. نفترض لو أنهم وافقوه وانصرفوا وبقي وحده أو بقى معه عشرة أنفار، هل كان ذلك ينتقص من عظمة عمله؟ كلا، بل تبقى له هذه العظمة بعينها. ولو كان بدل هؤلاء الاثنين والسبعين، اثنان وسبعون الفاً حول الحسين، هل كان ذلك ينقص من عظمة موقفه؟ أبداً لم يتردد امام ضغوط الدنيا ان عظمة موقف الحسين تكمن في ثباته واطمئنانه وهو يواجه دنيا تعترضه وتدعي في حقه، فلم يتزلزل، والحال أنّ موقفاً كهذا، يضطرب فيه عامة الناس، وحتى المميزين المتفوقين منهم. وكما ذكرت مراراً فان عبد الله بن عباس ـ وهو شخصية كبيرة مرموقة ـ وجميع أمراء قريش، كانوا في غاية الاستياء من ذلك الوضع وهكذا كان حال عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وأبناء كبار الصحابة، وبعض الصحابة. كان في المدينة عدد كبير من الصحابة، وكانوا من ذوي المروءة ـ لا يتصوّرون أحد أنهم لم يكن لهم مروءة وغيرة ـ وهم أنفسهم الذين تصدوا لمسلم بن عقبة وقاتلوه في وقعة «الحرّة» حينما هجم على المدينة وارتكب المذابح فيها بعد سنة من واقعة كربلاء. لا يتصوروا أنهم كانوا جبناء، بل كانوا فرساناً وشجعاناً.

لكن شجاعة البروز الى ساحة الحرب مسألة، وشجاعة مواجهة عالم

برّمته مسأله أخرى والموقف الذي خاضه الحسين هو الثاني، وكانت حركته لأجله. ومن هنا أكدتُ مراراً ان حركة امامنا العظيم كانت حركة حسينية، لقد انطوى موقف امامنا الكبير في عصرنا الحالي على نفحة من حركة الحسين قد يقول قائل ان الحسين قُتل في صحراء كربلاء عطشاناً، وامامنا قد حكم وعاش بعزّ ولما رحل شيعته الجماهير، لكن ليس هذا شاخص القضية ومعلمها، بل الأساس هو مواجهة غول عظيم ـ فارغ المحتوى ـ معزز بكل شيء. وقد ذكرت في ما مضى ما كان لدى أعداء الامام الحسين من مال وقوة وفرسان وخطباء ومبلّغين.

أعزائي، ان وضعكم اليوم يشبه ذلك الوضع؛ كربلاء ممتدة على مدى الدهر وليست محصورة في نطاق ميدان لا يتجاوز مئات من الأمتار، واليوم يعيد التاريخ نفسه حيث يقف عالم الظلم والاستكبار كله اليوم بوجه الجمهورية الاسلامية.

الفصل الثاني

دروس عاشــوراء

هدف الحسين ﷺ احياء النظام والمجتمع الاسلامي[1]

بمناسبة يوم عاشوراء، ساتحدث اليوم عن ثوره الحسين ﷺ، وانه لشيء عجيب، حيث ان حياتنا مفعمة بذكر الحسين ﷺ والحمد لله، ولقد قيل الكثير عن نهضة هذا العظيم، إلّا ان الانسان كلما تمعنّ وتدبر في هذا الموضوع، كلما اتسعت امامه آفاق التفكر والتحقيق والمطالعة، ولم يزل هنالك الكثير مما لم يقال بشأن هذه الحادثة العظيمة والعجيبة التي لا نظير لها. فعلينا التدبر والتأمل فيها ثم التحدث للآخرين.

اكثر من مائة درس في حركة عمرها بضعة شهور

لو تتبعنا الحادثة منذ ان خرج ابو عبد الله ﷺ من المدينة وتوجه نحو مكة الى ان استشهد في كربلاء، لتسنىٰ لنا القول: بوسع المرء ان يُحصي مائة درس مهم في هذا التحرك الذي استمر اشهر معدودات فقط، ولا اريد القول آلاف الدروس ـ وان امكن ذلك ـ حيث تعتبر كل اشارة صدرت من ذلك العظيم درساً، لكن عندما نقول مائة درس فمعناه: لو اردنا ان ندقق في هذه الاعمال لامكننا استقصاء مائة عنوان وفصل، وكل فصل يعتبر درساً لأمة وتاريخ وبلدٍ ولتربية النفس وادارة المجتمع والتقرب الى الله. هكذا هو الحسين بن علي(ارواحنا فداه وفداء اسمه وذكره) كالشمس الساطعة بين القديسين، اي ان كان الانبياء والأئمة

(١) خطبة قائد الثورة الاسلامية في صلاة الجمعة يوم العاشر من محرم عام ١٤١٦ هـ.

والشهداء والصالحين كالأقمار والانجم فالحسين كالشمس الطالعة بينهم، كل ذلك لاجل هذه الامور.

الدرس الرئيسي ... لماذا ثار الحسين عليه السلام ؟

والى جانب المائة درس هذه، هنالك درس رئيسي في هذا التحرك ساسعى لتوضيحه لكم وهو لماذا ثار الحسين عليه السلام ؟ لماذا ثرت يا حسين وانت الشخصية التي تحظى بالاحترام في مكة والمدينة ولك شيعتك في اليمن، فاذهب الى مكان لاشأن لك بيزيد ولا ليزيد شأن بك، حيث تعيش وتعبد الله وتبلّغ ؟

هذا هو السؤال والدرس الرئيسي، ولا ندعي ان احداً لم يشر الى هذا الامر من قبل، فقد حققوا وتحدثوا باسهاب عن هذه القضية، وما نود قوله اليوم ـ في رأيي ـ ان هو إلّا استنتاج جامع ورؤية جديدة للقضية.

هل ثار الحسين عليه السلام لاقامة الحكم ؟

يحلو للبعض القول: ان الهدف من ثورة ابي عبد الله عليه السلام هو اسقاط حكومة يزيد الفاسدة واقامة حكومة بدلاً عنها، وهذا القول شبه صحيح وليس خطأً لو كان القصد من هذا الكلام ان الحسين عليه السلام ثار لاجل اقامة حكومة وعندما يرى عدم امكانية ذلك يقول لم نتمكن من ذلك، فلنرجع.

ان من يثور لاجل اقامة الحكم سيواصل مسيرته مادام يرى امكانية ذلك، فان احتمل تعذره أو عدم وجود احتمال عقلائي فواجبه الرجوع، فالذي يقول ان هدف الامام عليه السلام من هذه الثورة هو اقامة الحكومة العلوية الحقة فهذا غير صحيح لان مجموع هذا التحرك لا يدل على ذلك، وسأُبين ذلك

لاحقاً.

وعلى العكس من ذلك فقد قال البعض: ما الحكومة؟ ان الحسين كان يعلم بعدم تمكنه من اقامة الحكومة، انه جاء ليُقتل ويُستشهد، ولقد شاع هذا الكلام على الالسن كثيراً لفترة من الزمن، وكان البعض يصيغه بتعابير خلاّبة، ثم رأيت ان بعض كبار العلماء قد قالوا بذلك أيضاً، فهذا الكلام لا يعتبر كلاماً جديداً وهو ان الامام عليه السلام ثار ليستشهد لانه رأى تعذر ان يفعل شيئاً في بقائه، فقال يجب ان افعل شيئاً بالشهادة.

هل ثار الحسين ليستشهد؟

هذا الرأي بدوره لا وجود له في المصادر الشرعية الاسلامية فلا يوجد ما يؤيد حجة القاء الانسان نفسه في اتون القتل. ان الشهادة التي نعرفها في الشرع المقدس والآيات والروايات تتمثل في أن يتحرك المرء ويستقبل الموت من أجل هدف مقدس واجب او راجح، هذه هي الشهادة الصحيحة في الاسلام. اما أن يتحرك الانسان كي يُقتل فلا. اذن هذا الامر وان توفر على جانب من الحقيقة، بيد انه لم يكن هدف الحسين عليه السلام.

اذن نقول بايجاز: لا يمكننا القول ان الحسين عليه السلام ثار من اجل اقامة الحكومة ولا ان نقول: انه عليه السلام ثار ليستشهد.

الحكومة والشهادة نتيجتان لا غايتان

انني اتصور ان القائلين بأن الهدف هو الحكومة او الهدف هو الشهادة قد خلطوا بين الهدف والنتيجة، فالهدف لم يكن ذلك، بل كان للامام الحسين عليه السلام هدف آخر كان الوصول اليه يستدعي سبيلاً وتحركاً يؤول الى احدى النتيجتين:

الحكومة أو الشهادة، وكان الامام مستعداً لكليهما، فقد اعدّ مقدمات الحكم وكذا مقدمات الشهادة، فان تحقق اي منهما كان صحيحاً، بيد ان اياً منهما لم يكن هدفاً بل كانا نتيجتين.

الهدف القيام بواجب لم يُنجز بعد

اذن ماهو الهدف؟ اقول باختصار ثم اباشر توضيحه قليلاً.

لو اردنا بيان هدف الامام الحسين عليه السلام فينبغي ان نقول: ان هدف ذلك العظيم كان اداء واجب عظيم من واجبات الدين لم يؤده أحد قبله، لا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أمير المؤمنين أو الامام الحسن المجتبى عليهما السلام، واجب يحتل مكاناً هاماً في البناء العام للنظام الفكري والقيمي والعملي للاسلام، ولكن لماذا لم يُؤد هذا الواجب حتى عهد الامام الحسين عليه السلام بالرغم من اهميته واصالته؟ لقد كان ينبغي على الامام الحسين عليه السلام القيام بهذا الواجب ليكون درساً على مر التاريخ، مثلما انَّ تأسيس النبي عليه السلام للحكومة اصبح درساً على مر التاريخ الاسلامي، ومثلما اصبح جهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سبيل الله درساً على مر تاريخ المسلمين وتاريخ البشرية الى الابد. فكان ينبغي ان يؤدي الامام الحسين عليه السلام هذا الواجب ليغدو درساً عملياً للمسلمين على مر التاريخ.

في عهد الامام الحسين عليه السلام توفرت الارضية اللازمة لهذا الواجب

لماذا قام الامام الحسين عليه السلام بهذا الواجب؟ لان الأرضية قد توفرت في زمن الامام الحسين عليه السلام، فلو لم تُمهد هذه الارضية في زمن الامام الحسين عليه السلام ومهدت - على سبيل المثال - في عهد الامام علي الهادي عليه السلام لقام بهذا الواجب ولصار هو ذِبح الاسلام العظيم، ولو حصل ذلك في زمن الامام الحسن

المجتبى عليه السلام لقام به، أو أنه اتفق في عصر الامام الصادق عليه السلام لقام به الامام الصادق عليه السلام، غير انه لم يتفق في زمن الائمة حتى عصر الغيبة إلّا في عصر الامام الحسين عليه السلام.

اذن كان الهدف اداء هذا الواجب، اذ ذاك تكون نتيجة اداء الواجب أحد الامرين اما الوصول الى الحكم والسلطة وكان الامام متأهباً لذلك ليعود المجتمع كما كان عليه في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام أو بلوغ الشهادة وكان الامام الحسين مستعداً لها أيضاً.

لقد خلق الله سبحانه الحسين عليه السلام بحيث يتحمل اعباء الشهادة من أجل هذا الامر، وبالفعل تحمّل عليه السلام ذلك، وقصة مصائب كربلاء قصة اخرى لها عظمتها.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالتعاليم الاسلامية

والآن اتعرض لتوضيح هذه القضية قليلاً:

ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكذا اي نبي ـ لما بُعث اتى بمجموعة من التعاليم، بعضها فردية لاصلاح الفرد، وبعضها اجتماعية لبناء المجتمعات وادارة الحياة البشرية ويطلق على هذه المجموعة من الاحكام: النظام الاسلامي.

ولما نزل الاسلام على القلب المقدس للنبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالصلاة والصوم والزكاة والانفاق والحج والاحكام الاسلامية والعلاقات الفردية، ثم جاء بالجهاد في سبيل الله واقامة الحكومة والنظام الاقتصادي والعلاقات بين الحاكم والرعية، وواجبات الرعية تجاه الحاكم. هذه المجموعة من الاحكام عرضها الاسلام على البشر وبيّنها النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ما من شيء يقرّبكم

من الجنة ويبعدكم من النار إلّا وقد مرتكم به»[1] ، ولم يبيّن النبي الاكرم ﷺ كل ما يسعد الانسان والمجتمع الانساني فحسب ، بل طبّقها وعمل بها ، فقد اقام الحكومة الاسلامية وشيّد المجتمع الاسلامي ، وطبق الاقتصاد الاسلامي ، واقيم الجهاد واستحصلت الزكاة ، وبذلك فقد شيّد نظاماً اسلامياً واصبح النبي الاكرم ﷺ وخليفته من بعده معمار وقائد هذا النظام .

كان السبيل واضحاً وبيّناً فوجب على الفرد والمجتمع الاسلامي السير في هذا السبيل وسلوك هذا النهج ، فان كان كذلك بلغ الناس الكمال واصبحوا صالحين كالملائكة وانجلى الظلم والشر والفساد والفرقة والفقر والجهل عن الناس وبلغ الناس السعادة الكاملة فيصبحوا عباد الله الكمّل .

ما الواجب اذا ما انحرف المجتمع الاسلامي ؟

حسناً ـ يبقى هنا ـ سؤال هو : لو صرفت يدٌ أو حادثةٌ ذلك القطار الذي سيّره النبي ﷺ عن مسيره ، فما هو التكليف ؟ لو انحرف المجتمع الاسلامي وبلغ الانحراف درجة بحيث خيف انحراف اصل الاسلام والمبادئ الاسلامية ، فالانحراف على قسمين ، فتارة ينحرف الناس ـ وهذا ما يقع كثيراً ـ لكن تبقى احكام الاسلام سليمة وتارة ينحرف الناس ويفسد الحكام والعلماء ومبلّغوا الدين فيحرّفوا القرآن والحقائق ، وتُبدّل الحسنات سيئات والسيئات حسنات ، ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، ويحرّف الاسلام ١٨٠ درجة ، فما هو التكليف حينذاك اذا ما أُبتلي النظام والمجتمع الاسلامي بمثل هذا الامر ؟

---

(١) بحار الانوار : ٢ / ١٧٠ .

التكليف واضح لكن ظروف التطبيق لم تُمهد

لقد بيّن النبي ﷺ وحدّد القرآن التكليف بالقول: ﴿يا أيّها النـاس مَـنْ يرتد منكم عن دينه فسـوف يأتـي الله بـقوم يـحبهم ويـحبونه اذلة عـلى المؤمنين اعزّة على الكافرين يجاهدون فـي سـبيل الله ولا يـخافون لومـة لائم﴾[1] بالاضافة الى آيات وروايات كثيرة أخرى.

ولكن هل كان بامكان النبي ﷺ العمل بهذا الحكم الالهـي؟ كـلا، لان تطبيق هذا الحكم الاسلامي انما يتيسر في عصر ينحرف فيه المجتمع الاسلامي ويبلغ حداً يُخشى فيه من ضياع اهل الاسلام، والمجتمع الاسلامي لم يـنحرف على عهد رسول الله ﷺ او في عهد أمير المؤمنين عليه السلام بتلك الصورة، وكذا في عهد الامام الحسن عليه السلام عندما كان معاوية على رأس السلطة، وان ظهرت الكثير من علائم ذلك الانحراف، لكن لم يبلغ الحد الذي يُخاف فيه على اصل الاسلام، نعم، ربما يقال انه بلغ في برهة من الزمن الحد، لكن حينها لم تُتح الفـرصة ولم يكن الوقت مناسباً للقيام بهذا الامر.

ضرورة اعادة المجتمع المنحرف الى جادة الصواب

ان هذا الحكم الذي يعتبر مـن الاحكـام الاسـلامية لا يـقل اهـمية عـن الحكومة ذاتها، لان الحكومة تعني ادارة المجتمع فاذا انحرف المجتمع وفسـد وتعطّل الحكم الالهي، وكنا نفتقد الحكم بوجوب تغيير الوضع وتجديد الحياة أو كما يعتبر عنه حاضراً (الثورة) فما جدوى الحكومة في لاسلام؟ فالحكم الذي يرتبط بارجاع المجتمع المنحرف الى الخط الصحيح لا يقل اهمية عن الحكومة

---

(١) المائدة: ٥٤.

ذاتها، ويمكن القول انه يفوق جهاد الكفار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر اهمية بالنسبة للمجتمع الاسلامي، بل وحتى اهم من العبادات الالهية العظمى كالحج، لماذا؟ لان هذا الحكم ـ في الحقيقة ـ يضمن احياء الاسلام بعد ان اشرف على الموت أو مات وانتهى.

حسناً، مَن الذي يجب عليه تطبيق هذا الحكم والقيام بهذا التكليف؟ انه خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقع في عصره هذا الانحراف بشرط توفر الوقت المناسب للقيام بذلك، لان الله لا يكلّف بشيء لا طائل من ورائه، وبطبيعة الحال ليس المراد من (ان يكون الوقت مناسباً) هو عدم وجود الخطر، كلا فليس هو المقصود، وانما المراد هو ان الانسان يعلم بترتب نتيجة على هذا العمل الذي يقوم به، أي ابلاغ النداء الى الناس وافهامهم وعدم بقائهم على الخطأ.

وقع الانحراف في عهد الحسين عليه السلام وتمهدت الارضية المناسبة للثورة

ان الاسلام قد انحرف في عصر الامام الحسين عليه السلام وكان الوقت مناسباً، لذا وجب عليه عليه السلام ان يثور، فالشخص الذي تولى السلطة بعد معاوية لم يرعَ حتى ظاهر الاسلام، وكان منغمساً في الخمر والمجون والتهكم بالقرآن وترويج الشعر الاباحي المرفوض من قبل الاسلام، فكان يخالف الاسلام علناً ولكن لكونه «زعيم» المسلمين فلم يشأ التجرد عن الاسلام، فهو لم يكن عاملاً ولا حريصاً على الاسلام فصار بعمله هذا كنبع الماء العفن الذي يُفسد ما حوله، وهكذا شأن الحاكم الفاسد فبما انه يتربع على قمة المرتفع فان ما يصدر منه لا يبقى في مكانه بل ينتشر ليملأ ما حوله خلافاً للناس العاديين حيث ينحصر فسادهم بهم أو للبعض ممن حولهم. وبالطبع ان كل من شغل مقاماً ومنصباً ارفع في المجتمع الاسلامي كان ضرر فساده اكبر، لكن لو فسد مَن يقف على رأس

السلطة لانتشر فساده وشمل كل الارض، كما انه لو كان صالحاً لامتد الصلاح الى كل مكان.

شخص كهذا وبما عليه من فساد خلف معاوية على المسلمين واصبح خليفة رسول الله ﷺ، فهل هنالك انحراف اكبر من هذا؟ وبذلك فقد توفرت الارضية، ولكن ما معنى توفر الارضية؟ هل معناه عدم وجود الخطر؟ كلا، فالخطر موجود فلا معنى أن يلتزم مَن هو على رأس السلطة الصمت ازاء معارضيه ولا يخلق لهم المخاطر، بل من البديهي أن يوجه لهم الضربات.

منزلة الائمة عليهم السلام واحدة

عندما نقول الوقت مناسب فمعناه ان الظروف في المجتمع الاسلامي مواتية لان يبلّغ الامام الحسين عليه السلام نداءه الى الناس في ذلك العصر وعلى امتداد التاريخ، فلو كان عليه السلام اراد الثورة في عهد معاوية لما سُمع نداؤه، وذلك لان الحكم والسياسات كانت آنذاك بشكل لا يمكن للناس فيها سماع قول الحق، لذا وان كان عليه السلام اماماً لمدة عشر سنوات في عهد معاوية إلّا انه لم يُقدم على اي فعل ولم يثر، مثلما لم يثر الامام الحسن عليه السلام في عهد معاوية لان الظروف لم تكن مواتية، لا ان الامام الحسن عليه السلام لم يكن اهلاً لذلك، فلا فرق بين الامام الحسن عليه السلام وبين الحسين عليه السلام ولا بين الامام الحسين عليه السلام والامام السجاد عليه السلام ولا بين الامام الحسين عليه السلام والامام الهادي عليه السلام أو الامام الحسن العسكري عليه السلام وبالطبع فان منزلة الامام الحسين عليه السلام ـ حيث قام بهذا الجهاد ـ ارفع من الذين لم يؤدوه، لكنهم سواء في منصب الامامة، ولو وقع هذا الامر في عصر أيّ منهم لثار ذلك الامام ونال تلك المنزلة.

اداء هذا التكليف محفوف بالمخاطر

فالامام الحسين عليه السلام واجه مثل هذا الانحراف، والظروف كانت مواتية، فلا محيص للامام عليه السلام من تأدية هذا التكليف، بهذا فعندما قال له عبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس ـ وهم من العلماء والعارفين باحكام الدين ـ ان تحركك محفوف بالمخاطر فلا تخرج، ارادوا ان يقولوا: ان التكليف قد سقط عنك لوجود الخطر، لكنهم لم يدركوا ان هذا التلكيف ليس بالتكليف الذي يسقط بوجود الخطر، لان مثل هذ التكليف محفوف بالمخاطر على الدوام، فانّى لانسان ان يثور ضار سلطة جبّارة في الظاهر دون ان يواجه الخطر؟

ان هذا هو عين التكليف الذي ادّاه الامام الخميني قدس سره وقد قالوا للامام: انك تلقي بنفسك في لهوات الخطر بتصديك للشاه، فهل ان الامام لم يكن يعلم بالخطر؟ ألم يكن الامام على علمٍ بان جهاز الامن البهلوي يمارس الاعتقال والقتل والتعذيب وحتىاعتقال اصدقاء الانسان ونفيهم؟ اجل فالذي وقع في عصر الامام الحسين عليه السلام وقع في عصر الامام الخميني قدس سره ولكن بصورة مصغرة، غاية الامر انه آل هناك الى الشهادة وهنا الى الحكومة، فقد كان هدف الامام الحسين عليه السلام وهدف امامنا العظيم مشتركاً. وهذا هو منبع المعارف الحسينية التي تشكل جانباً مهماً من معارف الشيعة وهي تمثل مرتكزاً هاماً من مرتكزات الاسلام.

الهدف اعادة المجتمع الاسلامي الى جادة الصواب

اذن، الهدف عبارة عن اعادة الاسلام والمجتمع الاسلامي إلى الصراط المستقيم، بعد انحرافه عن المسير وانحراف المسلمين نتيجة جهل البعض

وظلمهم واستبدادهم وخيانتهم، فتوفرت الارضية، وبالطبع فان مراحل التاريخ ليست سواء فقد تتوفر الظروف في زمان فيما لا تتوفر في آخر، فكانت مهيأة في زمان الامام الحسين عليه السلام وهكذا في زماننا فاقدم الامام قدس سره على نفس العمل، لكن مع فارق وهو ان الثورة على الحكم الباطل في عصرنا انتهت باقامة الحكومة الاسلامية والحمد لله فيما كانت نتيجة ثورة الامام الحسين عليه السلام هي الشهادة، فهل ان الثورة في الحالة الثانية لا تصبح واجباً؟ وهل لا طائل من ورائها ان كانت نتيجتها الشهادة؟ كلا، ان الثورة واجبة وان انتهت بالشهادة، ولا فرق في ذلك ان انتهت بالشهادة أو الحكم، لكن لكلٍّ منهما نوع من الفائدة، فلابد من الاقدام ولابدّ من التحرك.

الامام الحسين عليه السلام اول من ادى هذا التكليف

هذا ما اقدم عليه الامام الحسين عليه السلام، فكان اول من يقوم بهذا التحرك، فلم يسبقه احد بذلك لعدم حدوث انحراف في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا في عهد امير المؤمنين عليه السلام، واذا ما كان هنالك انحراف في بعض الجوانب فلم تكن الاجواء مواتية، بينما توفر كلا الامرين في عصر الامام الحسين عليه السلام وهذا هو اصل القضية في نهضته عليه السلام.

اذن بوسعنا ايجاز القضية بما يلي: ان ثورة الامام الحسين عليه السلام كانت لتأدية واجب عظيم هو اعادة بناء الاسلام والمجتمع الاسلامي أو التصدي للانحرافات الخطيرة التي عصفت بالمجتمع الاسلامي، وهذا مالا يتم إلّا بالثورة وعن طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هو مصداق عظيم للامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكما قلت ـ طبعاً ـ فقد تكون نتيجتها اقامة الحكومة، او قد تكون الشهادة، وقد كان الامام الحسين عليه السلام مستعداً لكلتا النتيجتين.

الخطر يحدق بالاسلام في عصر يزيد

ودليلي على ذلك هو ما استنتجته من اقوال الامام الحسين عليه السلام نفسه، ولقد انتخبت بعض اقوال ابي عبد الله عليه السلام وكلها تشير الى هذا المعنى:

* لما استدعى والي المدينة (الوليد) الامام الحسين عليه السلام ليلاً واخبره بموت معاوية وطلب منه مبايعة يزيد ردّ عليه الامام عليه السلام: «**نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون اينّا احق بالخلافة**»[1]، ولما لقيه مروان عند الصباح وطلب منه مبايعة يزيد وعدم تعرض نفسه للقتل، اجابه الامام عليه السلام: «**انّا لله وانّا إليه راجعون، وعلى الاسلام السلام إذ قد بُليت الامة براعٍ مثل يزيد**»[2]، فالقضية ليست شخص يزيد، بل مَنْ هو على شاكلة يزيد، ولقد اراد عليه السلام القول: لقد تحملنا كل ما مضى، اما الآن فان اصل الدين والاسلام والنظام الاسلامي في خطر اشارة الى ان الانحراف خطر جديّ، فالقضية هي الخطر الذي يتهدد اصل الاسلام.

* في وصيته الى اخيه محمد بن الحنفية لدى خروجه من مكة ـ فهو عليه السلام اوصى الى اخيه محمد بن الحنفية مرتين، الاولى عند خروجه من المدينة والاخرى عند خروجه من مكة ـ واتصور ان هذه الوصية كانت عند خروجه من مكة في شهر ذي الحجة، فبعد الشهادة بوحدانية الله ونبوة النبي صلى الله عليه وآله و... يقول الامام عليه السلام: «**ألا واني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وانما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي**»[3]، اي اريد الثورة لاجل الاصلاح لا للوصول الى الحكم حتماً أو الشهادة حتماً، والاصلاح ليس بالامر الهيّن، فقد تكون الظروف بصورة بحيث يصل الانسان الى سدة الحكم ويمسك بزمام

---

(١) بحار الانوار: ٤٤ / ٣٢٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر: ٣٢٩.

السلطة، وقد لا يتيسر له ذلك فيستشهد، وفي كلتا الحالتين تكون الثورة لاجل الاصلاح. ثم يقول عليه السلام: «**اريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي**»[١]، والاصلاح انما يتم عن هذا الطريق، وهو كما قلنا مصداق للامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* حينما كان الامام عليه السلام في مكة، بعث بكتابين، الاول الى رؤساء البصرة والثاني الى زعماء الكوفة، وجاء في كتابه الى رؤساء البصرة: «**وقد بعثت رسولي اليكم بهذا الكتاب وانا ادعوكم الى كتاب الله وسُنّة نبيه، فان السُنّة قد اميتت والبدعة قد احييت، فان تسمعوا قولي اهديكم الى سبيل الرشاد**» اي ان الامام عليه السلام يصبو الى تأدية ذلك التكليف العظيم وهو احياء الاسلام وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وجاء في كتابه الى رؤساء الكوفة: «**فلعمري ما الامام إلّا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه عن ذات الله، والسلام**»[٢]، وبذلك بيَّن الامام هدفه من الخروج.

* كان عليه السلام يتحدث الى الناس في كل منزل ينزل في طريقه بعد الخروج من مكة، وبشتى الاساليب، ولما واجه جيش الحر، ثم سار باصحابه ناحية، والحر ومَنْ معه ساروا ناحية اخرى حتى بلغ «البيضة» خاطب عليه السلام اصحاب الحر قائلاً: «**أيّها الناس، ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنّة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يُدخله مدخله**»[٣]. فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر: ٣٣٥.
(٣) نفس المصدر: ٣٨٢.

بيّن ما يجب عمله اذا انحرف النظام الاسلامي. وقد استند الامام الحسين عليه السلام الى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا.

اذن التكليف هو: «يغيّر عليه بفعل او قول»، فان واجه المرء هذا الامر وكان الظرف مواتياً كما اسلفنا وجب عليه ان يثور ولو بلغ مابلغ، يُقتل، يبقى حياً، ينجح في الظاهر او لا ينجح، فيجب على كل مسلم الثورة على هذا الواقع وهذا تكليف صرّح به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم قال عليه السلام: «**وانا احقّ مَنْ غيّر**» لانّي سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم فان كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اوجب على المسلمين فرداً فرداً هذا الامر، فان سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووارث علمه وحكمته الحسين بن علي عليه السلام أحق ان يثور، فاني خرجت لهذا الامر وبهذا يعلن عن سبب وهدف ثورته «التغيير» اي الثورة ضد الوضع الفاسد.

* لما نزل في «أزيد» التحق به اربعة انفار، فقال لهم الامام عليه السلام: «**أما والله اني لأرجو ان يكون خيراً ما اراد الله بنا، قتلنا او ظفرنا**» وهذا دليل على قولنا بان لا فرق سواء انتصر او قُتل، فيجب اداء التكليف.

* في اول خطبة له بعد نزوله بكربلاء، قال عليه السلام: «**وقد نزل بنا من الامر ما قد ترون... الى ان يقول: ألا ترون الى الحق لا يُعمل به والى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً...**» الى آخر الخطبة.

اذن ثورة الامام الحسين عليه السلام انما كانت لتأدية واجب وهو عبارة عن وجوب الثورة على كل مسلم حال رؤية تفشي الفساد في جذور المجتمع الاسلامي بحيث يُخشى من حصول تغيير كلّي في احكام الاسلام، وكانت الظروف مواتية، وعلم بان لهذه الثورة نتيجة وليس شرطاً البقاء حياً وعدم القتل وعدم التعرض للتعذيب والاذى والمعاناة.

فالحسين عليه السلام قد ثار وادى هذا الواجب عملياً ليكون درساً للجميع، وقد تتوفر الظروف المناسبة لاي شخص للقيام بهذا العمل على مر التاريخ، طبعاً الظروف لم تكن مواتية في عصر الائمة عليهم السلام من بعد الامام الحسين عليه السلام وهذا الامر له تفسير وهو وجود اعمال مهمة اخرى وجب القيام بها، فلم تتوفر هذه الظروف بعد في ذلك المجتمع الاسلامي الى اواخر عصر الائمة عليهم السلام وبداية عصر الغيبة، لكن قد تتوفر مثل هذه الظروف في الدول الاسلامية على مر التاريخ، وقد تكون الارضية في بعض اقطار العالم الاسلامي ـ الآن مهيئة لقيام المسلمين بذلك ايضاً. فان قاموا به فقد صانوا الاسلام وضمنوا بقاءه، وقد يواجه واحد او اثنان الفشل، لكن عندما يتكرر هذا التغيير وهذه الثورة والحركة الاصلاحية فثقوا بامكانية اجتثاث جذور الفساد والانحراف، ولقد اعطى الامام الحسين عليه السلام التاريخ الاسلامي درساً عملياً عظيماً، وضَمِن بقاء الاسلام في عصره وسائر العصور.

لماذا يتعين احياء ذكر الحسين وكربلاء؟

فاينما وُجد مثل هذا الفساد كان الامام الحسين حياً حاضراً يعلّمنا باسلوبه وفعله ما يجب علينا فعله، لهذا يجب ان يبقى اسم الحسين عليه السلام حياً وتبقى ذكرى كربلاء حيّة، لان ذكرى كربلاء تجعل هذا الدرس العملي نصب اعيننا.

ومما يؤسف له ان درس عاشوراء لم يُعرف في سائر الدول الاسلامية كما ينبغي، فيما هو معروف في بلدنا والناس يعرفون الامام الحسين عليه السلام والروح الحسينية هي السائدة، لهذا لم تستحوذ الدهشة حينما قال الامام قدس سره ان محرم هو شهر انتصار الدم على السيف، وهي الحقيقة حيث انتصر الدم على السيف.

لقد قلت هذه المطالب في مجلس قبل انتصار الثورة بـ(٢٥) عاماً تـقريباً وخاطبت الاخوة والاخوات الحضور ان أيّها الاعزاء، بأي لسان يقول الحسين ما هو تكليفكم؟

الامام الحسين عليه السلام اوضح التكليف

فالظروف هي تلك الظروف، والحياة هي تلك الحياة، والاسلام هـو ذلك الاسلام، والامام الحسين عليه السلام قد بيّن عملياً مسؤولية كل الاجيال، ولو لم تُنقل كلمة واحدة عن الامام الحسين عليه السلام لوجب علينا ان نعرف تكليفنا.

ان الشعب المكبّل بالقيود وبمفاسد حكامه، الشعب المتسلط على رقابه والقابض على زمام اموره اعداء الدين، يجب عـليه ادراك تكـليفه، لان سـبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام المعصوم قد علّمنا ما يجب علينا فعله في مثل هذه الظروف، ويتعذر ذلك باللسان، فلو قال ذلك بمائة لسان ولم يثر هو لما امكن ان يخترق هذا النداء التاريخ، فالنصيحة والأقوال ليست اللتين تنفذان في اعماق التـاريخ فقط، فهنالك الآلاف من التعابير، بل يجب القـيام بـعمل عـظيم وصـعب كـهذا وتضحية عظيمة واليمة كالتي قام بها الامام الحسين عليه السلام.

والحقيقة ان ما هو متجسد امام اعيننا من واقعة عاشوراء عما لا نظير ولا مثيل له بين جميع الحوادث والفواجع البشرية، وكـما قـال النـبي صلى الله عليه وآله وسلم وامـير المؤمنين عليه السلام والامام الحسن عليه السلام على ما ورد في الروايات:

«لا يوم كيومك يا أبا عبد الله»[1].

---

(١) نفس المصدر: ٢١٨.

تمييز الواجب الرئيس عن الواجبات الفرعية[1]

الطليعة وتحديد الواجب الرئيس

ثمة الكثير من الامور المتعلقة بقضية عاشوراء ما لو بادر العالم الاسلامي وبالذات مفكروه الى بحث هذه القضية بشتى ابعادها وما احاطها من تمهيدات ونتائج ستتجلى للعيان سبل الحياة الاسلامية ويتحدد تكليف الاجيال المسلمة في شتى الظروف، وأحد هذه الدروس المهمة هو ان الحسين بن علي(عليه الصلاة والسلام) بادر في مقطع حساس للغاية من التاريخ الاسلامي الى تحديد واجبه الاصلي عن سائر الواجبات ذات الاهمية المتباينة في مراتبها وانجز ذلك الواجب، ولم يخالطه الاشتباه في معرفة ذلك الامر الذي كانت دنيا الاسلام بحاجة له. وهذه هي نقطة الضعف التي يُعاني منها المسلمون في حياتهم على مر العهود، أي الخطأ الذي يرتكبه ابناء الامة وسراتها وطلائع العالم الاسلامي عند تحديدهم للواجب الحقيقي في مرحلة تاريخية ما حيث لا يعلمون الشيء المهم الذي يتعين المبادرة اليه والتضحية من اجله بسائر الاشياء على اهميتها، وأي شيء يعد جانبياً وثانوياً، ومنح كل حركة او عمل الاهمية بقدر ما يحتاجه وبذل الجهد من اجله.

المتخلفون عن الواجب الحقيقي

في الوقت الذي تحرك الامام الحسين عليه السلام كان هنالك اشخاص لو جرى

---

(١) لقاء قائد الثورة الاسلامية بالعلماء وطلبة الحوزة العلمية بتاريخ: ٧ / ٥ / ١٣٧١ هـ.ش.

الكلام معهم حول وجوب القيام واصبح واضح لديهم ان عاقبة ذلك الفعل صعاب ومشقات لتشبثوا بالتكاليف الثانوية، كما لاحظنا من البعض لجوءهم الى ذلك، وكان من بين الذين لم يؤازروا الامام الحسين عليه السلام في حركته اناس مؤمنون ومتدينون، فليس الجميع من المتعلقين بالدنيا.

وفي ذلك الزمان كان بين رموز العالم الاسلامي وشخصياته من المؤمنين مَن يرغب في القيام بواجبه لكنهم لم يشخّصوا التكليف ولا اوضاع الزمان ولا العدو الحقيقي ويخلطون بين الواجب الرئيس وسائر الواجبات ممن تأتي بالمرتبة الثانية أو الثالثة وهذا بذاته يمثل ابتلاءً دائمياً وعظيماً بالنسبة لدنيا الاسلام.

معرفة الواجب الاساسي في حياة المجتمع

ويمكن ان نبتلي نحن ـ اليوم ـ بذلك أيضاً ونُخطىء التشخيص بين الاهم وبين ما هو اقل اهمية. فلابد من التنقيب عن الواجب الاساسي الذي يعتمد عليه قوام وحياة المجتمع، فلما كان الصراع يدور ـ ذات يوم ـ ضد الاستعمار والاستبداد وجهاز الطاغوت الكافر، لم يكن البعض يشخصون الواجب المحوري ويتشبثون باعمال اخرى، فربما كان لديهم دروس أو مؤلفات او كانوا يديرون حوزة علمية تبليغية صغيرة، او انهم كانوا يتحملون مسؤولية ارشاد جمع قليل من الناس، فكانوا يتصورون انهم لو خاضوا غمار الصراع ستتعطل هذه الاعمال، فتركوا الجهاد على عظمته واهميته لئلا تتوقف تلك الاعمال! وهذا هو الخطأ في تشخيص الواجب الاهم من المهم.

الواجب الاهم مقارعة الطواغيت

لقد اوضح الحسين بن علي عليه السلام في كلماته للجميع ان اهم واجبات العالم الاسلامي في تلك الظروف هو الصراع مع رأس القوة الطاغوتية والمبادرة لانتشال الامة من سلطته الشيطانية، ومن البديهي انه عليه السلام حينما يتوجه الى العراق كي يسطّر ملحمة كملحمة عاشوراء فانه سيُحرم من المكوث في المدينة وتبليغ الاحكام الالهية للامة وبيان علوم اهل البيت عليهم السلام وتعليم المسلمين وتربيتهم ولن يتسى له تعليم الناس الصلاة ونقل احاديث الرسول صلى الله عليه وآله اليهم وبطبيعة الحال فان حوزته تتعطل ويتوقف نشره للمعارف وسوف يُحرم من اعانة الايتام والمساكين والفقراء في المدينة كل هذه كانت واجبات يقوم بها الامام عليه السلام قبل توجهه الى العراق، لكنه ضحّى بها جميعاً في سبيل واجبه الاكثر اهميه، بل انه ضحّى بحج بيت الله الحرام في سبيل التكليف الاهم ـ كما يتناقل ذلك الخطباء والمبلّغون ـ في وقت كان الناس يتوافدون لاداء مناسك الحج. فماذا كان ذلك التكليف؟

الحسين بن علي عليه السلام يشخّص الواجب

لقد كان التكليف كما قال هو عليه السلام مقارعة الجهاز الحاكم الذي هو مصدر الفساد، حيث قال عليه السلام: «**أُريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر واسير بسيرة جدي**» فهذا هو التكليف، او كما اعلن في خطبة اخرى خلال مسيره: «**يا أيّها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله... فلم يغيّر عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله ان يدخله مدخله**».

فالتكليف عبارة عن تغيير سلطان الظلم والجور والسلطة التي تعبث في الارض فساداً وتجر البشرية نحو الهلاك والفناء مادياً ومعنوياً. هذه هي فلسفة نهضة الحسين بن علي عليه السلام التي تعد مصداقاً واقعياً للامر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولابد من العناية بهذه النقاط على صعيد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا فهو عليه السلام تحرك على ضوء التكليف الاهم وضحى بالتكاليف الاخرى في سبيله. فشخَّص العمل الواجب في وقته.

لا يجوز لنا الالتباس في تشخيص العدو والتحرك المطلوب

ثمة حركة في كل زمان للمجتمع الاسلامي، وفي كل عصر هنالك عدو وجبهة وخصم يهدد الاسلام والمسلمين ويجب ان يُعرف ذلك العدو. فلو ارتكبنا الخطأ في معرفة العدو والجهة التي يتعرض منها الاسلام للاذى والهجوم فسوف نُمنى بخسارة جسيمة يتعذر تلافيها، واذا ما غفلنا عن ذلك ستضيع من ايدينا فرص كثيرة. اننا مكلّفون بان نخلق حالة قصوى من الحذر والحيطة وتحديد الاعداء ومعرفة التكاليف لدى شعبنا والعالم الاسلامي.

وحيث قد اقيمت اليوم الحكومة الاسلامية وارتفعت راية الاسلام الامر الذي لا سابقة له على امتداد التاريخ الاسلامي بعد الصدر الاول فان الامكانيات متوفرة للمسلمين ولا مندوحة لنا بعد الآن ان نغفل عن معرفة العدو ونخطيء تشخيص الجهة التي يباغتنا منها.

الاستكبار العالمي ... الخطر الاهم بالنسبة للاسلام

ومنذ انتصرت الثورة الاسلامية وحتى يومنا هذا، كان جلّ سعي امامنا العزيز قدس سره والمؤازرين له في نهضته ـ على اختلاف مستوياتهم وامكانياتهم ـ هو

تشخيص الخطر الاكبر والعدو الاخطر بالنسبة للمسلمين والمجتمع الاسلامي في ايران وقواعد العدل والحق في عالمنا المعاصر.

واليوم كما هو الحال في السابق فان الهجمة العظمى والخطر الدائم انما منشؤه الهيمنة العالمية والقوى الكافرة والمستكبرة، وهذا هو اكبر الاخطار التي تهدد وجود المسلمين، صحيح ان الضعف الداخلي للمجتمع يمهد الظروف كي يشن العدو هجومه لكن هذا الضعف هو ما يفرضه العدو من خلال ما يمتلكه من وسائل وادوات على المجتمع السليم، فلا ينبغي لنا الوقوع في الخطأ.

فتيعين ان تكون مسيرة المجتمع الاسلامي في الاتجاه المخالف للاستكبار والهيمنة العالمية السائدة اليوم على العالم الاسلامي.

الصحوة الاسلامية ومنطلقها سبب العداء الامريكي

ان القوى العظمى تعادي الاسلام والصحوة الاسلامية، انهم يحاربون ايران الاسلام بسبب اسلاميتها، وان كل مساعيهم انما تصب لاخماد الحركة الاسلامية في العالم، وبالطبع فان امريكا المتجبرة الغاصبة تقف في مقدمة اعدائنا وتليها سائر القوى الصغيرة والكبيرة التي تُضمر عداءً دفيناً للاسلام بسبب تزعزع مصالحهم أو رعبهم من الاسلام.

ان عداءهم لايران، ناجم عن انطلاق الصحوة الاسلامية فيها، فجميع الشعوب الاسلامية وفي كل ارجاء المعمورة تستمد تطلعاتها من هذه الحركة والثورة المنتصرة وتسير واثقة الخطى متقدمة الى امام. واذا مانجح الاعداء ـ العياذ بالله ـ من الحاق الهزيمة بالاسلام في هذه البقعة من العالم فانهم سيحققون

اعظم نصرٍ لهم في مواجهتهم لتيار الصحوة الاسـلامية العـالمية ، وهـذه حـقيقة ملموسة اليوم ، فلا ينبغي لنا الوقوع في خطأ تشخيص عدونا ولا ينبغي توهم ان العدو قد اقلع عن عدائه للاسلام والمسلمين .

درس الاربعين[1]

احياء ذكر وحقيقة الشهادة

أهمية الاربعين

ان اهمية الاربعين تكمن بالاساس في ان ذكر النهضة الحسينية قد خلد الى الابد وتجذر في هذا اليوم بتدبير الهي وحنكة آل الرسول ﷺ. فلو توانى اهالي الشهداء والابطال في مختلف الوقائع ـ كما هو الحال في استشهاد الحسين ابن علي عليه السلام في كربلاء ـ عن المحافظة على ذكر الشهادة وآثارها، لن تنعم الاجيال المقبلة بالمكاسب المتأتية عن الشهادة.

صحيح ان الله سبحانه تكفل باحياء الشهداء في العالم الآخر وان الشهيد خالدٌ في اذهان البشر على مدى التاريخ، بيد أن الله جعل لمثل هذا العمل وسيلة طبيعية شأنه شأن سائر الاعمال مما يخضع لارادتنا واختيارنا فنحن الذين بامكاننا احياء ذكر الشهداء وذكر الشهادة وفلسفتها عن طريق اتخاذ القرار المناسب والصحيح.

خلود واقعة عاشوراء

لو أن زينب الكبرى سلام الله عليها والإمام السجاد عليه السلام لم يبادرا على امتداد أيام السبي، سواء في عصر يوم عاشوراء في كربلاء أو الايام التي امضياها

(١) حديث الولاية: ٢ / ١٤١ ـ ١٤٣.

في الطريق الى الكوفة والشام او في الشام نفسها وما تلا ذلك في مرورهما بكربلاء ومن ثم التوجه الى المدينة وبالتالي السنوات المتمادية التي بقيا فيها على قيد الحياة ـ الى الجهاد وبيان الحقائق والكشف عنها ولم يقوما ببيان حقيقة فلسفة عاشوراء وهدف الحسين بن علي عليه السلام في ثورته وجور الاعداء، لم تبق واقعة عاشوراء حيّة متفاعلة متوهجة حتى يومنا هذا.

فلماذا يقول الصادق عليه السلام كما ورد في الروايات: «**ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلّا أوجب الله له الجنّة وغفر له**»[1] لان الاجهزة الاعلامية قد كُرست بأسرها لعزل قضية عاشوراء ومسألة اهل البيت عليهم السلام برمتها واحاطتها بحجب من الظلام كي لا يدعوا مجالاً امام الامة لمعرفة ما جرى، هذا هو التبليغ، ولقد كانت القوى الظالمة الجائرة ـ كما هو الحال في يومنا هذا ـ تستثمر وسائل الاعلام المزيفة والمغرضة والشيطانية باقصى ما يمكن.

فهل يمكن لواقعة بمثل هذه العظمة وحصلت في صحراء منزوية من زوايا العالم الاسلامي ان تحافظ على حيويتها وقوتها في مثل هذه الاجواء؟ من المسلّم به ان مصيرها الافول لولا هذه الجهود.

ان الذي حافظ على ذكر هذه الواقعة هو الجهود التي بذلتها عائلة الحسين بن علي عليه السلام، فلقد واجهوا العراقيل وكم كان ذلك صعباً، انه صعب بصعوبة الجهاد الذي خاضه الحسين بن علي عليهما السلام حينما رفع راية الجهاد، الى هذا المستوى كان جهاد زينب عليها السلام وجهاد السجاد عليه السلام وسائر الطاهرين صعباً

(١) بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٨٣.

ومريراً، وبالطبع لم يكن ميدانهم عسكرياً بل اعلامياً وثقافياً. وعلينا الانتباه الى هذا الامر.

درس الاربعين

ان الدرس الذي يعلّمنا اياه يوم الاربعين هو وجوب احياء ذكر وحقيقة الشهادة في مواجهة السيل الاعلامي للاعداء، ولقد لاحظتم ضخامة حجم الاعلام المعادي للثورة والامام والاسلام وهذا الشعب منذ انتصار الثورة الاسلامية وحتى يومنا هذا.

فلقد كُرست وسائل الاعلام لمحاربتنا تلك الحرب التي خضناها دفاعاً عن الاسلام والوطن وكرامتنا وشرف شعبنا، لاحظوا ممارسات الأعداء المباشرة وغير المباشرة ضد شهدائنا الاعزاء الذين حملوا ارواحهم ـ اي أغلى ما لديهم ـ على الاكف وضحوا بها في سبيل الله، وذلك عن طريق اذاعاتهم وصحفهم ومجلاتهم والكتب التي يصدرونها والالقاءات التي ملأوا بها ادمغة البسطاء في العالم.

حتى بلغ الامر بالقلّة من السذّج والجهلاء وكذلك المعروفين او المغمورين من الافراد في بلدنا ان يتفوهوا في اجواء الحرب المتشنجة بكلمات تنم عن الجهل وعدم معرفة الحقائق، ما يثير الالم لدى امامنا العزيز وتدفعه الى اطلاق صرخاته الملكوتية والكشف عن الحقائق بكل صراحة، فلو لم يواجه هذا الاعلام باعلام يستند الى الحق ولولا الوعي الذي تحلى به الشعب الايراني بخطبائه وكتّابه وفنانيه الذين كرسوا جهودهم لخدمة الحقيقة السائدة في هذا البلد لكان النصر للعدو في الميدان الاعلامي، فهذا الميدان عظيم وخطير للغاية.

وبالطبع فان غالبية ابناء شعبنا محصّنون ومصونون ازاء الاعلام المعادي وماذلك إلّا ببركة الوعي الذي احدثته الثورة، فبعد الاكاذيب التي اطلقها العـدو وقـلبه وعكسه للامور التي يشاهدها شعبنا عياناً، سُلبت ثقة امتنا بما يطلقه الاعداء من تصريحات واحابيل وبالضجيج الاعلامي الذي يفتعله الاعلام العالمي،

لقد حاول جهاز يزيد المتجبر عبر اعلامه ادانـة الحسـين بـن عـلي عليهما السلام وتصويره علىانه خارجٌ على نظام الحكم الاسلامي العادل وما خروجه إلّا من اجل الدنيا! وقد صدّق البعض ما يطلقه هذا الاعـلام المـزيّف، ولمـا اسـتشهد الحسين بن علي عليه السلام بتلك الحالة الاليمة العجيبة على ايدي الظلمة على صـعيد كربلاء، صوروا ذلك بانه فتح وانتصار! لكن الجهاز الاعلامي السـليم للامـامة قلبَ كل هذه الاحابيل، وهذا هو الحق بعينه.

فلسفة نهضة عاشوراء[1]

انقاذ الامة من الجهل

في احدى الزيارات التي يزار بها الامام الحسين عليه السلام في يوم الاربعين، هنالك عبارة غاية في المعنى وهي: «... **وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة**» ولقد انطوت فلسفة التضحية التي قام بها الحسين بن علي عليه السلام في هذه العبارة، تأملوا هذه العبارة بما تحتويه من معنىً ومفهوم راقٍ ومتقدم.

مَن الذي يستطيع انقاذ البشرية؟

ان القضية تكمن في تعرض البشرية على الدوام لمكائد الشياطين، فلم يزل كبار الشياطين وصغارهم يضحون بالامم والشعوب لغرض تحقيق مآربهم، ولقد طالعتم التاريخ واطلعتم على اوضاع السلاطين والجبابرة والجائرين وطبيعة سلوكهم مع الامم، وها انتم تشاهدون العالم المعاصر والمنهج الذي اختطته القوى الكبرى ان الانسان يتعرض لاغواء الشياطين وخدعهم، فلابد من مدّ يد العون اليه واغاثة عباد الله كي يستطيعوا الخلاص بانفسهم من الجهل والافلات من الضلالة والانحراف.

فمن ذا الذي بمقدوره مدّ يد العون للبشرية، فالذين انشدوا الى الاطماع

---

(١) حديث الولاية: ٥ / ١٤٧ـ١٤٨.

والاهواء والشهوات لا يسعهم ذلك لانهم ضالون، واولئك الذين وقعوا اسرى الانانية والاماني لا يقدرون على انقاذ البشرية، فلابد من ظهور شخص يتولى انقاذهم، أو ان يشملهم اللطف الالهي فتشتد عزائمهم فيبادروا الى انقاذ انفسهم.
ان الذي بمقدوره انقاذ البشرية هو من تمتع بروح الايثار ليتسنى له التضحية وتجاوز الشهوات والانسلاخ عن الاماني وحب النفس والانانية والحرص والهوى والحسد والبخل وسائر القيود التي عادة ما تكبّل الانسان، كي يستطيع ايقاد الشمعة التي تضيء درب الانعتاق امام البشرية.

شمس عاشوراء الخالدة[1]

بركات عاشوراء

بالرغم من كثرة ما قيل حول الفوائد القيّمة لشهر محرم ويوم عاشوراء وآثار هذه الظاهرة العظيمة، لكن كلما مر الزمان عليها كلما تجلّت اكثر الصورة الخالدة لهذه الشمس المشرقة ـ التي بوسعنا ان نطلق عليها شمس الشهادة، شمس مظلومية وغربة الجهاد التي توقدت على ايدي الحسين بن علي عليه السلام واصحابه ـ وعرفت بركات عاشوراء اكثر فاكثر، فمنذ اليوم الاول لوقوعها. ظهرت الآثار العميقة والجوهرية لهذه الحادثة تدريجياً، فمنذ تلك الايام عرف البعض واجباته، فقامت حركة التوابين ووقعت حوادث الجهاد الطويل لبني هاشم وبني الحسن عليه السلام، حتى ان ثورة العباسيين ـ الذين ثاروا ضد بني امية في اواسط القرن الثاني الهجري وارسلوا الدعاة الى اطراف العالم الاسلامي آنذاك لا سيما المناطق الشرقية من بلاد فارس كخراسان فمهدوا الاجواء للقضاء على الدولة الاموية الجائرة المتكبرة العنصرية ـ انما انطلقت باسم الحسين بن علي عليه السلام، واذا استقرأتم التاريخ ستجدون ان دعاة بني العباس عندما كانوا ينتشرون في بقاع العالم الاسلامي كانوا يتخذون من دم الحسين بن علي عليه السلام واستشهاده ومن الثأر لدم سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبضعة الزهراء عليها السلام مادة للثورة علّهم يفلحون في انجاح حملاتهم الاعلامية.

---

(١) لقاء قائد الثورة الاسلامية مع العلماء وطلبة الحوزة العلمية والمبلّغين والخطباء على اعتبا شهر محرم الحرام عام ١٤١٦هـ.

فكان الناس يستجيبون لهم، حتى ان السواد الذي اتخذه بنو العباس شعاراً طيلة خمسمائة عام من حكمهم قد انتخب كلباس حداداً على الامام الحسين عليه السلام، فكانوا يقولون: هذا حداد آل محمد صلى الله عليه وآله. وهكذا باشر العباسيون ثورتهم واحدثوا هذا التغيير، وان هم انحرفوا ايضاً وواصلوا نهج بني امية فيما بعد.

اذن هذه من تأثيرات عاشوراء، وهكذا كان الامر على مر الزمان، وما حصل في عصرنا ـ اي عصر هيمنة الظلم والكفر والالحاد على العالم باسره، العصر الذي تحولت فيه العدالة مخالفة للقانون، والظلم هو القانون الحاكم على المستوى العالمي ـ كان اعظم من تلك الوقائع.

الامام يستلهم من عاشوراء

ان ما ترونه من تجبر القوى الكبرى ومحاولاتها في اقامة نظام عالمي جديد يهيمن على العالم، هو ذلك الظلم بعينه، اي انهم يطلقون على ما يقع في العالم من ظلم وجور وتمييز عنصري اسماء قانونية كالدفاع عن حقوق الانسان وهذا اسوء ضروب الظلم حيث يسود الظلم العالم باسم العدل، والاجحاف باسم العدالة، في مثل هذا الزمان خُرقت حجب الظلام وتجلت شمس الحقيقة ووصل الحق الى الحكم، واعلن الاسلام الذي كانت الايادي كلها تسعى لابعاده عن الساحة ـ تواجده وأُجبر العالم على الانصياع والقبول بتواجد الاسلام الاصيل كنظام اسلامي وكان ذلك ببركة عاشوراء مثلما ان الثوة انطلقت ببركة عاشوراء.

استطاع امامنا العظيم قدس سره ـ مستلهماً من شهر محرم وواقعة عاشوراء ـ ان يوصل نداء الحق المنطلق من قلبه الى اسماع الامة ويغيّرها، ولقد كان شهداؤنا ـ

في تلك الايام ـ في طهران وورامين وبعض المدن الاخرى من المشاركين في عزاء الحسين عليه السلام فطليعة الشهداء في حادثة ١٥ خرداد كانوا من الذين تعرضوا لهجوم اعداء عاشوراء، وقد شاهدتم في عام ١٣٥٧ كيف استلهم امامنا العظيم واستخلص الدروس من محرم، وطرح الى الوجود مفهوم «انتصار الدم على السيف» وحقق ما اراد، اي ان الشعب الايراني باتباعه للحسين بن علي عليه السلام قد استلهم دروس عاشوراء فانتصر الدم على السيف.

نحن أُمناء عاشوراء

واننا اليوم ورثة وامناء هذه الحقيقة التاريخية، اي ان الذين يرغبون اليوم بسماع ما جرى في يوم العاشر من المحرم واتخاذه درساً وذكرى، انما يريدون سماعها من على لسان العلماء والمبلّغين والمبلّغات، وهنا تُطرح قضية التبليغ وهي قضية مهمة للغاية، فاذا تمكن الطلبة الشباب والفضلاء في الحوزات العلمية والمبلّغون والخطباء والمدّاحون يوماً من استثمار حادثة عاشوراء كحربة لمواجهة الظلمات المتراكمة والمهيمنة على حياة البشر وخرقوا حجب الظلام بهذه الحربة الالهية القاصمة واظهار شمس الحق من خلال حاكمية الاسلام ـ وهذه الحقيقة قد تجلّت في عصرنا وشهودت هذه المعجزة ـ فلماذا لا يتوقع او ينتظر ان يشهر علماء الدين والمبلّغون والخطباء ـ في كل عصر ـ سيف الحق وذا فقار علي بوجه كل باطل؟ ولماذا نستبعد هذا الامر حتى لو كان اعلام العدو في تلك البرهة اقوى واوسع والظلمات اشد تراكما؟ صحيح ان الاعلام المعادي في عصرنا قد هيمن على الاجواء الفكرية للبشر وقد رصدت اموال طائلة لتشويه صورة الاسلام وبالذات التشيع، وان كل من له مصالح غير مشروعة في حياة الشعوب والبلدان يرى نفسه مكلّفاً بالعمل ضد الاسلام والحكم الاسلامي، اي

ان الكفر بالرغم من تفرقه وتشتته قد اتفق على امر واحدٍ وهو مناهضة الاسلام الاصيل، بل انهم سخّروا الاسلام المزيف لمواجهة الاسلام الاصيل أيضاً.

كل ذلك صحيح، ولكن الا يمكن ـ رغم كل هذا الاعلام المعادي الخبيث ـ لجناح الحق وجبهة الاسلام الاصيل ان يكرر هذه المعجزة ببركة روح ونداء وحقيقة عاشوراء ورسالة محرم؟ اجل، انه عمل شاق لكنه ممكن وتلزمه الهمة والتضحية وهذه مسؤوليتنا نحن.

ان العالم متعطش اليوم للحقيقة، وهذا ليس كلام يصوغه عالم دين او مسلم متطرف، بل هو كلام اناس هم على ارتباط بالثقافة الغربية منذ سنوات وممن ينظرون اليها ولمنظريها بعين الاستحسان، انهم يقولون: ان الشرائح المهمة في العالم الغربي متعطشة للاسلام.

مشاكل المدنية الغربية المعاصرة

المقصود من الشرائح المهمة هم العلماء والمفكرون واصحاب الضمائر والمثقفون والشباب فهؤلاء هم المفاصل الحساسة في هيكل المجتمعات الغربية، انهم عطاشى لمدرسة او درسٍ في الحياة ينتشلهم من آلاف المشاكل الحقيقية الواقعية، فالكثير من مشاكل الحياة ليست واقعية، والمشكلة الواقعية تتمثل في الشعور بفقدان الامن الروحي، والغربة والكآبة والاضطراب وفقدان الاطمئنان والسكينة هذه المشاكل الحقيقية للبشرية، حيث يجبر شخص ما على الانتحار وهو في قمة الثراء والشهرة، فلماذا ينتحر ذلك الشاب الثري الذي يمتلك امكانيات التنعم والتمتع في حياته؟ وأي الم اشد من فقد المال وعدم توفر امكانيات المتعة الجسدية واللذة الجنسية؟

ان فقدان الاطمئنان والسكينة، وعدم وجود مركز للاعتماد الروحي، وفقدان الانس والتواصل بين الناس، الشعور بالغربة والانكسار، كلها آلام تعاني منها المدنية الغربية المعاصرة، وتشعر بها الشرائح الحساسة اكثر من غيرها، لهذا فهم يترقبون يداً تخلصهم من هذه الآلام، وفي اي مكان يسوده الوعي تتوجه الانظار نحو الاسلام، وبالرغم من وجود البعض ممن لا يتمتعون بالوعي ولا يعرفون الاسلام لكن الارضية ممهدة لاعتناق الاسلام، اما الذين عرفوا الاسلام فانهم يلجأون اليه فقط.

ولقد قال احد المفكرين الايرانيين ـ ارتحل مؤخراً الى ربّه ـ ان الغرب يبحث اليوم عن شخصيات امثال الشيخ الانصاري وملا صدرا، فحياتهم ومعنوياتهم وقيمهم قد جذبت الشخصيات والمفكرين في الغرب اليها.

معرفة عاشوراء قمة المعارف الاسلامية

ان النبع الزاخر لهذه القيم كان هنا، وقمة هذه المعارف «معرفة عاشوراء» فيجب معرفة قيمة هذه الامر لاننا نريد تقديم هذه المعارف للعالم، وهنا لا يسعني إلّا تقديم الشكر لجميع الذين استجابوا لدعوتنا في العام الماضي وقاموا بتنزيه مراسم العزاء في يوم عاشوراء من التحريف.

التصدي لتحريف عاشوراء

وانني أُؤكد مرة اخرى على هذه المسألة، ايها الاعزاء، ايها المؤمنون بالحسين بن علي عليه السلام، ان بامكان الحسين بن علي عليهما السلام ان ينقذ العالم اليوم بشرط ان لا تُشوه صورته بالتحريفات، لا تدعوا المفاهيم الخاطئة والتحريفات تصرف الاعين والقلوب عن وجه سيد الشهداء عليه السلام فلابد من التصدي للتحريف،

وساوجز ما اقصده بعبارتين :

الاولى : متابعة قضية عاشوراء والحسين بن علي عليه السلام من على المنابر وعن طريق الرثاء بالصورة التقليدية ببيان وقائع ليلة ويوم عاشوراء ، فعادة ما تندثر الحوادث حتى الكبيرة منها مع مرور الزمن ، لكن حادثة عاشوراء خالدة بكل تفاصيلها وماذلك إلّا ببركة هذه المجالس . ويتعين ـ بالطبع ـ بيان الوقائع بصورة متقنة على ما ورد في كتابي اللهوف لابن طاووس والارشاد للمفيد .

بيان اهداف الامام الحسين عليه السلام

اذن يجب رواية الاحداث وقراءة الرثاء والمديح ولطم الصدور وبيان حادثة عاشوراء واهداف الامام الحسين عليه السلام عن طريق المحاضرات الغنية من خلال الاشارة الى الكلمات الواردة عنه عليه السلام من قبيل : **«ما خرجتُ اشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً بل خرجت اريد الاصلاح في امة جدي»** او قوله عليه السلام : **«يا أيّها الناس ان رسول صلى الله عليه وآله قال : مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرم الله ناكثاً لعهد الله فلم يغيّر عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله ان يدخله مدخله»** فهذا فصل من الدروس ، او قوله عليه السلام : **«فمن كان باذلاً فينا مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا»** ، فالحديث هنا عن لقاء الله وهو الهدف من خلق البشر ، لقوله تعالى **﴿يا أيّها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه﴾** فكل هذه المساعي والمشقات انما لاجل هذا الامر «فملاقيه» ، فمن كان موطّناً نفسه على لقاء الله فليرحل مع الحسين عليه السلام فلا يجوز المكوث في البيت والتعلق بالدنيا والغفلة عن طريق الحسين عليه السلام ، فلابد ان نتحرك ، وهذا يبدأ من النفس وتهذيبها ثم التحرك نحو المجتمع والعالم فهذه اهداف

وخلاصة ثورة الحسين.

هل شاهدتم ما فعله انسان حسيني كربلائي؟

ان خلاصة ثورة الحسين عليه السلام تتمثل في انه مرّ يوم على الامام عليه السلام كانت الدنيا فيه تخضع لسيطرة الظلم والجور ولم تكن لاحد الجرأة على بيان الحقائق، وكان الظلام يلف الجو والأرض والزمان، حتى ان ابن عباس وعبد الله بن جعفر لم يرحلا مع الحسين عليه السلام فما معنى ذلك؟ ألا يدل على وضع الدنيا حينذاك؟

فالامام الحسين عليه السلام وقف وحيداً في مثل تلك الظروف مع نفر قليل - وحتى لو لم يتوفر هذا النفر القليل - بوجه الظلم، ولنفرض ان الامام عليه السلام لما قال ليلة العاشر من محرم لاصحابه: «ليس عليكم منّي ذمام»، قد ذهب الجميع ومنهم أبو الفضل العباس وعلي الاكبر وبقي الامام عليه السلام وحيداً، فماذا كان سيحدث يوم العاشر؟ هل يتراجع الامام عليه السلام؟ ام انه يصمد ويقاتل؟ ولقد ظهر في عصرنا رجل قال: لو ابقى وحيداً وتظاهرت الدنيا كلها عليّ فلن اتراجع عن طريقي، وكان ذلك هو امامنا رحمه الله، وقد فعل وصدق فيما قاله فكان مصداقاً للذين ﴿صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾، هل رأيتم ما صنع رجل ترعرع في مدرسة الحسين وعاشوراء؟ فلو كنا جميعاً ممن تربى في مدرسة عاشوراء لحثّت الدنيا خطاها بسرعة نحو الصلاح ولمُهدت الارض لظهور ولي الحق المطلق.

اذن لابد من بيان هذه المفاهيم للامة عن طريق مجالس الوعظ والرثاء والمديح، ويتعين على المبلّغين بيان هدف الامام الحسين عليه السلام للناس في قرى البلاد ومدنها وفي ارجاء الدنيا من على المنابر وخلف منصات الخطابة وبشتى

الاساليب، وربما يورد الخطيب حديثاً اخلاقياً او يتطرق الى سياسة البلاد او السياسة العالمية فلاباس بذلك، لكن يجب ان يكون خطابه بنحو يتم فيه بيان حادثة عاشوراء تصريحاً او تلميحاً، منفصلاً او ضمنياً كي لا تبقى خافية ومكتومة.

بيان حقائق الاسلام اثناء شهر محرم

اما الثانية: استثمار هذه الفرصة للقيام بما قام به الامام الحسين عليه السلام، اي احياء الاسلام ببركة جهاده، فقد جدد الاسلام حياته ونال حريته بفضل ثورة الحسين بن علي عليهما السلام ودمه.

وعليكم اليوم ـ بالاستلهام من ذكر الحسين عليه السلام واسمه ومنبره ـ بيان حقائق الاسلام والتعريف بالقرآن والسنّة وتوضيح نهج البلاغة للناس، فان من بين الحقائق الاسلامية هناك حقيقة مباركة قد تجسدت في ايران الاسلامية، اي نظام الجمهورية الاسلامية، النظام النبوي العلوي الولائي، فحكومة الحق تعد من اسمى المعارف الاسلامية، فلا يتوهم احد بامكانية بيان حقائق الاسلام مع التغافل عن حاكمية الاسلام التي تجلّت اليوم في هذا البلد.

التضحية في سبيل المحافظة على الدين[1]

البصيرة لازمة الدفاع عن الدين

ان لعاشوراء دروساً، والدرس المستقى من عاشوراء يتمثّل بوجوب صيانة الدين، ولابد من التضحية بكل شيء في سبيل القرآن، ان يقف الجميع صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، شيباً وشباناً، الشريف والوضيع، الامام والرعية صفاً واحداً في ميدان صراع الحق ضد الباطل، وان جبهة الباطل بما هي عليه من اقتدار ظاهري في غاية الضعف، كما هو شأن جبهة بني امية حيث تصدعت بواسطة ركب اسارىٰ كربلاء في كل من الكوفة وفي الشام والمدينة حتى آل الامر الى زوال جبهة آل أبي سفيان، ودرسها المستخلص هو لزوم توفر البصيرة اكثر من كل شيء بالنسبة للانسان خلال فصول الدفاع عن الدين، فالذين يفتقرون للبصيرة سرعان ما يُخدعون فيتحولون الى جبهة الباطل دون علمٍ منهم بذلك، حيث كان في جبهة ابن زياد ممن لم يكونوا فساقاً او فجاراً، بل هم ممن لا بصيرة لديهم.

هذه هي دروس عاشوراء، وهي كافية لان تنتشل امة بكاملها من حالة الذل الى موقع العزّة، وهي كافية لان تلحق الهزيمة بجبهة الكفر والاستكبار، انها دروس تصنع الحياة.

---

(١) من لقاء قائد الثورة الاسلامية مع قادة ومجاميع عاشوراء لقوات المقاومة التعبوية بتاريخ ١٣٧١/٤/٢٢ هـ.

الاستقامة الحسينية، والاستقامة الخمينية[1]

ثمة صنفين من الانتصار: انتصار يراه الانسان بنفسه، فاقامة الحكومة والقضاء على اعداء الثورة من قبيل ذلك حيث شاهده الامام بعينه، وآخر ـ وهو الاهم ـ هو انتصار الخلود، أي الانتصار على صعيد الفكر والنهج الذي يُطرح، وهو النصر الذي تحقق للانبياء بالرغم مما تجرعوه من مرارة اثناء حياتهم، وهذا النصر هو نصر فكري ومنهجي يحققه انسان عظيم ومفكر، وقد نال الامام هذا النصر أيضاً، واحياء ذكرى ذلك العظيم من خلال هذا المحفل السنوي كل عام، يأتي في هذا الاطار.

اوجه الشبه بين حركة الامام وحركة الامام الحسين عليه السلام

ارغب هنا ان اتناول امراً بشأن حركة امامنا العظيم يحمل في طياته درساً لنا واني لأدعوا اهل الفكر والحس السياسي وذوي التدبر في القضايا الكبرى، التمعن بهذه المسألة والغور فيها اكثر.

انكم تعلمون بوجود اوجه شبه كثيرة بين حركة الامام وحركة الامام الحسين عليه السلام، بل هي انبثقت مقتدية بالنهضة الحسينية، وان انتهت تلك الحركة التي تمثل الاصل ـ اي النهضة الحسينية ـ باستشهاد جميع عناصرها، وانتهت هذه الحركة بظفر الامام، إلّا ان هذا لا يعد فارقاً وذلك لهيمنة صورة موحدة من

---

(١) صحيفة جمهوري اسلامي: ١٦ / ٣ / ١٣٧٥هـ . ش .

التحرك ومحتوىً واحدٍ وتخطيط عام على كلتا الحركتين. ولقد كان التفاوت في المقتضيات فانتهت تلك الحركة باستشهاد الامام الحسين عليه السلام فيما كان مصير هذه اقامة امامنا العظيم للحكومة، وهذا امر واضح وجلي على نحو الاجمال.

الاستقامة بوجه الصعاب

من بين الامور البارزة في كلتا الحركتين هي مسألة الاستقامة، وينبغي عدم المرور على كلمة الاستقامة مرور الكرام والتعامل معها تعاملاً عابراً، وذلك لاهميتها. فاستقامة الامام الحسين عليه السلام كانت بنحو انه قرر ان لا يستسلم ليزيد وحكومته الجائرة، ومن هنا انطلق الصراع، حيث رفض الاستسلام امام حكم فاسدٍ عمد الى حرف الدين عن مسيره بنحو كلي، ولما تحرك الامام عليه السلام من المدينة انما كان حاملاً هذه النيّة، ولما شعر في مكة بوجود الناصر قرن تحركه بالثورة وإلّا فان جوهر القضية هو الاعتراض على حكومة لا يمكن تحملها ومرفرضة في موازين الامام الحسين عليه السلام، ففي البداية وقف الامام الحسين عليه السلام بوجه هذه الحكومة ولازال الامر يلفّه الغموض ولم يبادر عليه السلام الى الافصاح عن اعتراضاته. لكنه عليه السلام اخذ يواجه المشاكل تترى، بدءً من اضطراره للخروج من مكة وانتهاءً بالقتال في كربلاء والضغوط التي تعرض لها الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء.

الاعذار المشروعة تثبط الانسان

من الامور التي تصد الانسان عن القيام بالاعمال الجبارة هي الاعذار المشروعة، فربما يتعين على شخصٍ القيام بواجب او تكليف، ولكن عندما يحين اوان انجاز ذلك العمل يبرز عارض مهم ـ كأن يكون مقتل مجموعة كبيرة

من البشر ـ حينها يشعر الانسان بعدم وجود تكليف بذمته.

لاحظوا كم من هذه المبررات المشروعة قد برزت امام الحسين عليه السلام واحدة بعد الاخرى وكان بامكانها ان تدفع كل انسان سطحي النظرة الى الانصراف عن هذا السبيل؟ منها انصراف اهل الكوفة عن مسلم عليه السلام ومن ثم مقتله، حيث كان ينبغي للحسين عليه السلام القول بأن العذر المشروع قد توفر وسقط عني التكليف، فلقد اردنا عدم مبايعة يزيد، ولكن اتضح بان من الصعوبة بمكان الاقدام على مثل هذا الفعل في مثل هذه الظروف، ولا طاقة للناس على ذلك، اذن لابد من ان نبايع مضطرين لسقوط التكليف.

المرحلة التالية تتمثل في واقعة كربلاء نفسها، فقد كان بمقدوره الظهور بمظهر الانسان الذي يحاول عند مواجهته لاي مسألة معالجة مثل هذه المواقف الكبرى من خلال المنطق فيقول: ان هؤلاء النسوة والاطفال لا طاقة لهم على تحمل هذه الصحراء الملتهبة، وعليه فقد رُفع التكليف ومن الطبيعي عليه ان يستسلم والقبول بما لم يقبل به من قبل. او ماتلا ذلك في يوم العاشر من محرم حيث بدأت المعركة واستشهد الكثير من اصحاب الامام الحسين عليه السلام فبرزت الصعاب امامه وكان بمقدوره القول اصبح واضحاً الآن تعذر خوض الصراع مع هؤلاء والمضيء قدماً، وهنا عليه الانسحاب، او حينما اتضح انه عليه السلام مستشهد لا محالة وسيقع آل الله وحرم رسول الله وأمير المؤمنين اسارى بايدي الاجانب في تلك الصحراء ـ وهنا تدخل قضية الناموس، فكان بمقدور الامام الحسين عليه السلام باعتباره انساناً غيوراً ان يقول: لقد رُفع عني التكليف إذ ان مواصلة هذا الطريق والقتل يعني وقوع بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام واطهر النساء في دنيا الاسلام سبايا بايدي الاعداء الذين لا يعرفون معنىً للشرف.

ايّها الاخوة والاخوات، تاملوا جيداً، انه لامر مهم يستحق الدقة في واقعة

كربلاء وهو: لو اراد الامام الحسين عليه السلام النظر الى الحوادث المريرة والصعبة للغاية كشهادة علي الاصغر وسبي النساء وظمأ الاطفال ومقتل شبابه وسائر الاحداث التي يمكن عدّها رؤية انسان متشرع ويتناسى عظمة رسالته، لكان بامكانه الانسحاب خطوة خطوة منذ البداية ويبايع يزيد لان «الضرورات تبيح المحضورات» لكنه لم يفعل، وهذه هي الاستقامة الحسينية.

الاستقامة بوجه التبريرات المشروعة

الاستقامة لا تعني دائماً تحمّل الصعاب، فذلك اسهل بكثير بالنسبة لانسان عظيم من تلك الامور التي قد تبدو مخالفة للمصلحة وفقاً للموازين الشرعية والعرفية والعقل البسيط.

ربما يقال لشخص لا تذهب بهذا الطريق فقد تتعرض للتعذيب، او تُقتل او يُقتل بعض الناس بسببك، أو يتعرض عدد من الرجال والنساء والاطفال للاذى نتيجة لاستمرارك فيرفض مستقبلاً الموت أوسائر العواقب اما في الحالة الاخيرة فان الذين لا يهمهم الموت تزل اقدامهم، لكن الذي لا تزل اقدامه هو الذي يتوفر على اولاً: البصيرة وادراك عظمة العمل الذي يؤديه.

وثانياً: نفس قوية. وقد ابدى الامام الحسين عليه السلام تلكما الخصلتين في كربلاء فاشرقت كربلاء كالشمس على مر التاريخ ولم تزل كذلك وستبقى الى ابد الدهر.

الامام الخميني رحمه الله يواصل طريق الحسين عليه السلام

ولقد امتاز امامنا العظيم رحمه الله بـ(اولاً): انه اقتفى اثر الامام الحسين عليه السلام لذا فقد قادة الثورة نحو الانتصار، و (ثانياً): ضَمِنَ النصر بعد رحيله ايضاً، ومظهر انتصار

فكره ومنهجه هو اجتماعكم العظيم هذا والاوسع منه على المستوى العالمي هو توجه الشعوب نحو الاسلام وخط الامام، وهذه الانتصارات ماهي إلّا بسبب استقامته.

لقد قيل للامام ذات يوم: لو واصلت حركتك فقد تُعطل الحوزة العلمية في قم، فلم يهتز الامام، بل مضى قدماً وقيل له انهم سيحركون كبار العلماء والمراجع ضدك أي ستدب الاختلافات في العالم الاسلامي واذا كان الكثيرون ترتعد فرائصهم، فان الامام لم يهتز لذلك وواصل طريقه حتى بلغت الثورة الانتصار.

وقد قيل للامام مراراً: انك اذ تحث الشعب الايراني على مواجهة النظام البهلوي فمن ذا الذي يتحمل مسؤولية هذه الدماء التي تراق؟ اي انهم طرحوا قضية دماء الشباب امامه، ولقد قال لي أحد كبار العلماء في العام ١٣٤٢ أو ١٣٤٤ هـ. ش ان الامام اذ قام بحركته في ١٥ خرداد عام ١٣٤٢ وقُتل الكثيرون وكانوا من افضل شبابنا ـ فمن المسؤول عن هؤلاء الضحايا؟

كانت هذه طريقة التفكير، وهي تثير الضغوط وقد تدفع بأي شخص الى الانصراف عن طريقه وعدم الاستمرار في تحركه، بيد ان الامام اصر على استقامته، وهنا تتجلى عظمة الروح والبصيرة التي كانت مهيمنة عليه.

كان ذلك ما يرتبط بمرحلة الجهاد ضد النظام الملكي الجائر، أما ما يعد درساً لنا وما ينبغي على الجميع التدبر فيه فهو ما تلا ذلك، وهذا ما دعوت المفكرين واهل الرؤى السياسية والمحللين الى التركيز عليه فهو في واقع الامر مهم للغاية، فلقد كان الجهاد متركز ضد النظام الملكي، ولكن ما ان قام نظام الجمهورية الاسلامية حتى اتسعت دائرة الصراع وتبدلت طريقته، حيث باشر

الاعداء صراعهم مع نظام الجمهورية الاسلامية.

هؤلاء الاعداء المتمثلون بالقوى السلطوية والوقحين المتسلطين على رقاب الشعوب، والاستكبار العالمي انّما يضمرون العداء للجمهورية الاسلامية بسبب تعرض مصالحهم وخططهم التوسعية للخطر حيث ان تواجد الجمهورية الاسلامية فكرياً ومعنوياً بين الدول الاسلامية يهدد استمرارهم في التسلط على هذه البلدان. على اية حال، لو كان هنالك رجل ضعيف بدل الامام ﷺ لتوقف عن المسير بسبب وجود المبرر والعائق ولانسحب مضطراً مدعياً تعذر مواجهة الاستكبار. بيد ان الامام لم يفعل.

استقامة الامام ﷺ بوجه هجمات الاعداء

كي تتضح اهمية القضية تاملوا هذه الجمل: لقد تعرضت ايران لهجوم سياسي شامل عبر مراحل متعددة من قبل وسائل الاعلام، وغالباً ما تكون الهجمات السياسية مؤثرة، وهذا ما نلاحظه اليوم حيث وسائل الاعلام المتمثلة بالتلفاز والاذاعات ترعب الحكومات لتأثيرها على افكار الشعوب. ولقد بدأوا بمثل هذا الهجوم الشامل ضد نظام الجمهورية الاسلامي ولقد اتّصف شعبنا ـ طبعاً ـ بالبصيرة والثبات ولم يتزعزع، بيد ان الامام لم يتراجع بحجة تظافر هؤلاء علينا، ولم يقل اذا كان بامكاننا مواجهة امريكا لوحدها فانّىٰ لنا الخروج ظافرين على امريكا والاتحاد السوفيتي معاً، حيث كان العالم ثنائي القطبية اتحدتا كلاهما بوجهنا، بل انه ﷺ استقام ولم يحد عن ما اطلقه من شعارات وعن طريقه ولم يتفوه بما كان الاعداء يطمحون اليه. انها استقامة حسينية، وهي وفق معايير عصرنا هذا تناظر مواقف الامام الحسين عليه السلام.

وعندما بدأت الحرب المفروضة ـ حينها كان بلدنا يعاني التدمير الموروث عن النظام الملكي الظالم وبحاجة للاعمار واعادة البناء، بيد ان العدو باغتنا بالهجوم حيث دمرّ سكك الحديد ومصافي النفط فتعطلت الصناعات النفطية ومعامل السكك الحديد فلم يكن بوسع ايّ كان إلّا الانهيار امام تلك الحالة، والكل يعلم ان النظام العراقي لم يكن وحده هو الطرف المقابل لنا، بل بالاضافة اليه كان كلّ من الاتحاد السوفيتي وفرنسا وحلف الناتو والخبراء الامريكيون وآخرون، فلو كان الامام ﷺ ضعيفاً لادعى زوال التكليف وتنازل عن تطبيق الاحكام الاسلامية ومقارعة اسرائيل لانهم يريدون ذلك ويضغطون لاجله، لكنه ﷺ لم يردد ذلك بل صمد، ولما وافق على قرار وقف اطلاق النار لم يكن ذلك بسبب الضغوط بل للمشاكل الاقتصادية التي عرضها المسؤولون عن اقتصاد البلاد في ذلك الوقت عليه حيث اعربوا له عن عجز البلاد عن مواجهة الحرب بمثل هذه الميزانية، حينها اضطر الامامﷺ على القبول بالقرار الدولي. فلم يكن قبوله عن خوف أو خشية هجوم العدو او لتهديد امريكا بالتدخل في الحرب مباشرة حيث انها قد تدخلت منذ البداية، وحتى لو تدخلت الدنيا باكملها في قضية الحرب، فالامام ليس بالانسان الذي ينثني.

العدو يضغط كي يتردد الامام

لم يتفق ان دبّ التردد في الامامﷺ ولو لحظة واحدة على مدى السنوات العشر التي قضاها عقب انتصار الثورة الاسلامية، بسبب ثقل المسؤولية وتهديدات العدو وفي اي جانب، اي انه كان يتمتع بروح حسينية. ففي الحرب خسائر، والامام يعتز بأنفس الناس كثيراً، ويتألم لهم فهو يبكي احياناً او تتجمع الدموع في احداقه ـ وهذا ما شهدناه مراراً ـ انه انسان رحيم ورؤوف وذو فؤاد

مفعم بالمحبّة والانسانية، لكنه لم يرتعد او يهتز امام التهديدات ولم ينثن عن طريقه ولقد ادرك اعداء الثورة جميعهم وعلى مدى السنوات العشر هذه عدم امكانية ارعاب الامام وجرّبوا ذلك، وهذه نعمة كبرى حيث يشعر العدو بتعذر اخراج هذا الرجل من الساحة عن طريق الارعاب والتهديد. فلقد اقدم الامامﷺ وبما تحلّى به من روحية وشخصية متألقة على عملٍ جعل الدنيا باسرها تفهم وتدرك عدم امكانية اخراج هذا الرجل من الميدان لا عن طريق الضغوط ولا عن طريق التهديد ولا حتى التطبيق العملي لتهديداتهم؟ من هنا اضطرّوا الى التأقلم مع الثورة.

ونوجز كل ذلك بعبارتين ـ وبالطبع هذا الموجز يمكن توسيعه والتدبر فيه ـ:

الأُولى: من الخطوط الجلية لنهضة عاشوراء عبارة عن استقامة الامام الحسين عليه السلام.

اما الثانية: فهي ان امامنا العظيمﷺ قد اختط في نهضته وحركته وحياته المنهج الحسيني من هنا نجح في صيانة الجمهورية الاسلامية ودفع العدو الى الاقلاع عن تهديداته وضغوطه لانه افهم العدو عدم جدوى كل ذلك وان هذا القائد ليس بالشخص الذي يتراجع بسبب هذه الامور.

الفصل الثالث

عِبَر عاشــوراء

أُمّة الرسول ﷺ تقتل ابن نبيّها[1]

العبر تختص بعهد الحكم الاسلامي

ثمة محاور ثلاثة اساسية تتعلق بمباحث واقعة عاشوراء، وهي:

الاول: دراسة الاسباب والدوافع التي تقف وراء ثورة الامام الحسين عليه السلام والعلل التي حدت به عليه السلام للقيام بالثورة، أي تحليل هذه الثورة تحليلاً دينياً وعلمياً وسياسياً، لقد سبق منا الحديث بالتفصيل حول هذا الموضوع، بالاضافة الى الدراسات القيّمة التي قام بها الفضلاء والاكابر. لهذا فانني لا اتطرق اليوم الى هذا الجانب.

الثاني: بحث الدروس المستوحاة من عاشوراء، وهذا بحث حي وخالد ولا يختص بزمن معيّن، فدرس عاشوراء هو درس التضحية والفداء والتدين والشجاعة والمواساة ودرس القيام لله والمحبّة والذوبان في الله، وهذه الثورة الكبرى التي فجرتموها انتم ابناء الشعب الايراني بالتفافكم حول حسين الزمان وحفيد ابي عبد الله عليه السلام تمثل احد دروس عاشوراء، ولا أُريد التطرق لاي حديث حول هذا الموضوع.

اما الثالث: فهو العبر المستخلصة من عاشوراء، وقد سبق ان اثرنا هذا الموضوع قبل عدة سنوات حيث اشرنا الى ان في عاشوراء بالاضافة الى الدروس المستخلصة، عبراً أيضاً، والبحث في عبر عاشوراء انما يختص بالزمن

(١) خطبة قائد الثورة الاسلامية في صلاة الجمعة ١٨ / ٢ / ١٣٧٧ هـ. ش.

الذي تكون فيه الحاكمية للاسلام، وبوسعنا القول أن اساس هذا البحث يختص ـ على اقل تقدير ـ بهذا الزمان، أي الزمان الذي نحيا فيه ويمر بـه بـلدنا، فـعلينا الاعتبار.

ولقد طـرحـنا القـضية بـالصيغة التـالية: مـا الذي دهـى ذلك المـجتمع الاسلامي ـ الذي التف حول الرسول ﷺ وأحبّه حبّاً جـماً وآمـن بـه ايـماناً راسخاً فأصبح مجتمعاً طافحاً بالحيوية والحماس الديني، ونشأ وتنامى في ظل الاحكام التي سنتحدث عن شيء منها فيما بعد، اولئك الذين ادرك البعض منهم عهد رسول الله ﷺ ـ بحيث وصل بهم الحال ان يجتمعوا بـعد خـمسين عـاماً ليقتلوا سبط الرسول ﷺ ابشع قتلة؟ وهل هنالك ارتداد ونكـوص وانـحراف أنكى من هذا؟

القت زينب الكبرى عليها السلام في سوق الكوفة خطبة عصماء بليغة تـمحورت حول هذا، قالت فيها: «**ألا يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، أتـبكون؟**» وذلك لانهم حينما شاهدوا رأس الحسين على الرمح، وبنت علي مسبية، لمسوا عمق المأساة فضجوا بالبكاء. «**فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرّنة**» ثم قالت: «**انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة انكاثاً تـتخذون ايـمانكم دخلاً بينكم**».

وهذا هو النكوص والارتداد والتراجع القهقري، فانتم في الحقيقة كالمرأة التي غزلت الصوف ومن بعدما أتمته نقضت الغزل وعادت الى ما كـانت عـليه، وأنتم في حقيقة الأمر نقضتم غزلكم وأعدتموه صوفاً، وهذا هو التراجع. وهذه عبرة، وأن كل مجتمع اسلامي معرّض لمثل هذا الخطر.

لقد كانت اكبر مفخرة لإمامنا الخميني أنه حفّز الأمة على العمل بأحاديث

الرسول، وهل يمكن مقارنة غير الانبياء وغير المعصومين بشخصية عظيمة كشخصية الرسول الذي بنى ذلك المجتمع؟!

ولكن انتهى الحال بذلك المجتمع الى اقتراف تلك الجريمة فهل كل مجتمع اسلامي معرّض للانسياق لمثل هذه الخاتمة؟

من الطبيعي انه اذا استعبر لا ينتهي الى مثلها، ولكنه اذا لم يستعبر فمن الممكن أن يتسافل الى هذا الحد. فهذه عبر عاشوراء.

أما نحن فقد وفّقنا في هذا العصر بحمد الله وفضله لاقتفاء السبيل من جديد، واحياء اسم الاسلام في العالم، ورفع راية الاسلام والقرآن عالية. وكانت هذة المنقبة من نصيب الشعب الايراني الذي مرّت على ثورته عشرون سنة تقريباً وهو ما انفك مرابطاً وصامداً على هذا النهج إلّا أننا اذا انتابتنا الغفلة، ولم نحترس أو نحاذر ونثبت على المسار كما ينبغي، فمن الممكن أن ننتهي الى نفس ذلك المصير، وهنا يتضح معنى العبرة من عاشوراء.

أُريد حالياً التوسع بالحديث في الموضوع الذي طرحته قبل سنوات، ولاحظت، ـ والشكر لله ـ أن الفضلاء أفاضوا في دراسته وبحثه والكتابة فيه والقاء الكلمات حوله. ومن الطبيعي ان الاسترسال في شرح هذا الموضوع، لا يستوعبه الوقت المخصص لخطبة صلاة الجمعة؛ فهو بحث مطوّل وساتناول تفصيلياً ولكل خصائصه في غير اجتماع صلاة الجمعة اذا رزقني الله عمراً ووفقني لذلك.

عظمة واقعة كربلاء

يجب أولاً وقبل كل شيء ادراك مدى فداحة تلك الواقعة حتى نتحرك

وتتبع اسبابها. لا يقصر نظر أحد على أن واقعة عاشوراء كانت ـ في النهاية ـ مذبحة قتل فيها مجموعة من الناس، كلا، بل أنها وكما نقرأ في زيارة عاشوراء «**لقد عظمت الرزية وجلّت وعظمت المصيبة**». ولاجل أن يتضح مدى عظم تلك الفاجعة، أستعرض بصورة اجمالية ثلاث مراحل قصيرة من حياة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، لنرى شخصية الحسين عليه السلام في هذه المراحل الثلاث، هل من الممكن أن يحتمل أحد انه ينتهي به المآل يوم عاشوراء الى أن تحاصره حشود من أمّة جدّه وتقتله أشنع قتلة هو وأصحابه وأهل بيته وتسبي عياله؟

تتلخص تلك المراحل الثلاثة في:

أولاً: مرحلة الطفولة وتبدأ منذ نعومة أظفاره والى تاريخ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

ثانياً: مرحلة شبابه... أي خمس وعشرون سنة، من وفاة جده الى خلافة امير المؤمنين عليه السلام.

ثالثاً: المرحلة التي استمرت عشرين سنة من بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام الى واقعة كربلاء.

الامام الحسين عليه السلام في طفولته

ففي المرحلة الأولى، أي في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كان الحسين عليه السلام طفلاً مدللاً ومحبوباً عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كان لرسول الله بنت، وكان المسلمون يعلمون جميعاً آنذاك أنه صلى الله عليه وآله قال: «**اني لأغضب لغضب فاطمة وأرضى لرضاها**» فانظروا عظيم منزلة هذه البنت بحيث ان رسول الله صلى الله عليه وآله يبجلها بهذه الكلمة وأمثالها في محضر المسلمين والملأ العام وليس هذا بالأمر الهيّن.

وزوّجها الرسول الكريم ﷺ لشخص كان ذروة في المآثر، زوّجها علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان شاباً شجاعاً شريفاً واكثر الناس ايماناً واسبقهم الى الاسلام، وأكثرهم مشاركة في كل ميادينه، عليّ... من قام الإسلام بسيفه... من كان يُقدم حيثما يحجم الآخرون ويحل المستعصي من العقد... هذا الصهر العزيز المحبوب الذي لم تكن محبته منطلقة من وازع القرابة وما شاكلها من الوشائج، وانما كانت انطلاقاً من عظمة شخصيته، ولهذه الأسباب زوّجه ابنته، فكان من نسلهم الحسين و... وهذا الكلام يصدق كلّه أيضاً على الامام الحسين عليه السلام إلّا ان كلامي هنا يدور حول الامام الحسين عليه السلام... اعز عزيز عند الرسول... الذي كان زعيم العالم الاسلامي وحاكم المسلمين ومحبوب كل القلوب يضمه بين ذراعيه ويصطحبه الى المسجد، وكان المسلمون يعلمون ان هذا الطفل هو محبوب قلب الرسول الذي تذوب القلوب جميعاً في محبته فذات مرّة كان الرسول يلقي خطبة من فوق المنبر علقت رجل هذا الطفل بعائق فسقط على الأرض، فنزل الرسول من فوق المنبر واحتضنه ولاطفه. لاحظوا هكذا كانت محبّة الحسين عليه السلام عند الرسول.

قال رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين عليهما السلام وهما آنذاك في السادسة أو السابعة من عمريهما «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**». قال فيهما هذا القول وهما لا زالا طفلين. أي انهما حتى وان كانا في تلك السن إلّا انهما يفهمان ويدركان ويعلمان كمن هو في سن الشباب، ويتضجر الأدب والشرف من جنبيهما.

ولو قال قائل حينذاك ان هذا الطفل سيقتل على يد أمّة هذا الرسول بلا جرم أو جريرة، ما كان ليصدّقه أحد. مثلما صرّح رسول الله نفسه بتلك الحقيقة

المرّة وبكى لها. وتعجب في وقتها الجميع، مستنكرين امكانية حدوث عمل كهذا.

الامام الحسين عليه السلام في ايام شبابه

المرحلة الثانية : هي الفترة التي استمرت خمساً وعشرين سنة من وفاة الرسول الى خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، اذ كان عليه السلام شاباً متوثّباً وعالماً وشجاعاً، شارك في الحروب وخاض شدائد الأمور. كان معروفاً عند الجميع بالعظمة، وعندما يأتي ذكر الكرام تشخص اليه الأبصار وتحوم حوله الأذهان واسمه يسطع بين جميع مسلمي مكة والمدينة وحيثما امتد الاسلام، بكل فضيلة ومكرمة. والكل ينظر اليه والى أخيه باحترام وتكريم، وحتى خلفاء ذلك العصر كانوا يبدون لهما التعظيم والاجلال.

وكان مثلاً ومقتدىً لشباب ذلك العهد. وهكذا لو ان شخصاً قال آنذاك ان هذا الشاب سيقتل على يد هذه الأمة، لما صدّقه أحد.

غربة أهل البيت عليهم السلام

المرحلة الثالثة: هي تلك المرحلة التي حلّت من بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وحان دور غربة أهل البيت، فكان الامامان الحسن والحسين عليهما السلام يقيمان خلال تلك المدّة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وبعد مقتل أمير المؤمنين بعشرين سنة، انحصرت الامامة في الحسين على جميع المسلمين ـ وان لم تكن الخلافة في يده ـ وبدى مفتياً كبيراً، زاد احترامه عند الجميع، وأضحى عروة يتمسك بها كل من يريد التمسك بأهل البيت.

فكان ذا شخصية محبوبة ورجلاً شريفاً نجيباً اصيلاً عالماً، حتى انه بعث

في ذلك الوقت بكتاب الى معاوية ، لو كان غيره كتبه لأي حاكم لكان جزاؤه القتل إلّا أن معاوية حينما وصله كتابه تلقاه بكل تكريم وقرأه متغاضياً عما جاء فيه . ثم لو أن احداًكان يقول في ذلك الوقت ان هذا الرجل الشريف الكريم العزيز النجيب الذي يجسّد الإسلام والقرآن في نظر كل ناظر ، سيقتل عمّا قريب على يد أُمة الاسلام والقرآن قتلة شنيعة ، لم يكن أحد ليتصور صحّة ذلك ، إلّا أن هذه الواقعة العجيبة البعيدة عن التصور ، قد حصلت فعلاً !

ولكن من الذين فعلوا ذلك ؟ فعله اولئك الذين كانوا يترددون عليه ويدلونه ويعربون له عن محبتهم واخلاصهم! فما معنى هذا؟ معناه ان المجتمع الاسلامي أُفرغ طول هذه الخمسين سنة من قيمه المعنوية وجُردَ من حقيقة الاسلام ، فكان ظاهره اسلامياً وباطنه خاوياً . وهنا هو مكمن الخطر . فالصلوات تقام وصلاة الجماعة موجودة والأمة توصف بالأُمة المسلمة ، وحتى ان البعض منها يوالي أهل البيت عليهم السلام !

العالم الاسلامي ومحبّة اهل البيت عليهم السلام

أؤكد لكم ان العالم الاسلامي كله كان ومازال يعتقد بأهل البيت ، ولا أحد يشك في هذا . ان حبّ أهل البيت ظاهرة مشتركة بين جميع المسلمين في الماضي والحاضر واينما تيمم وجهك اليوم في أرجاء العالم الاسلامي تجد المسلمين يحبّون أهل البيت فالمسجد المسمى باسم الامام الحسين عليه السلام والمسجد الآخر المسمى باسم السيدة زينب في القاهرة تجدهما حاشدين على الدوام بجموع الزوار حيث يرتادهما المسلمون ويزورون القبر ويقبّلونه ويتوسلون به الى الله . جيء لي في الفترة الأخيرة أي قبل سنة أو سنتين بكتاب جديد ـ الكتب القديمة مشحونة بهذا المعنى أنما ذكرته لكونه جديداً ـ على أهل

البيت وحققه أحد الكتّاب الحاليين في الحجاز. يثبت هذا الكتاب انّ أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. وهذا المعتقد جزء من أرواحنا نحن الشيعة، إلّا أن هذا الأخ المسلم الذي لا ينتمي للشيعة كتب هذا الكتاب ونشره والكتاب موجود ولدي نسخة منه، ولا بدّ أن آلاف النسخ منه طبعت ووزعت ومعنى هذا ان أهل البيت يحظون بالاحترام والقبول لدى جميع المسلمين، وكانوا في ذلك العصر يلقون غاية التكريم والمحبة، ولكن في الوقت ذاته حينما يصبح المجتمع خاوياً تقع مثل تلك الحادثة ولكن أين العبرة من هذا؟ تكمن العبرة في ما ينبغي عمله لكي لا ينزلق المجمتع الى مثل ذلك المآل، وهذا ما يوجب علينا فهم الظروف التي ساقت المجتمع الى تلك النهاية. وهذا هو البحث المطوّل الذي أُريد أن أقدّم لكم موجزه.

ركائز بنية النظام النبوي

أُشير أولاً وكمقدّمة للموضوع الى أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أرسى أُسس نظام كانت بناه الاساسية تقوم على عدّة ركائز تعتبر أربعة منها الثقل في ذلك البناء وهي:

الأول: المعرفة المتقنة الخالية من الغموض في شؤون الدين، ومعرفة الأحكام، والمجتمع، والتكليف، ومعرفة الله والرسول، ومعرفة الطبيعة.

وهذه هي المعرفة التي انتهت الى تراكم العلوم وبلغت بالمجتمع الاسلامي في القرن الرابع الهجري ذروة المدنية والحضارة العلمية. فالرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك أي ابهام وغموض. ولدينا في هذا الصدد آيات مدهشة من القرآن الكريم لا مجال هنا لذكرها. وحيثما كان هناك موضع غموض أو التباس، كانت

تنزل آية تجلّيه.

الثاني: العدالة المطلقة التي لا محاباة فيها سواء في حقل القضاء، أم في حقل الاستحقاقات العامّة ـ لا مايتعلق بحقه الشخصي اذ كان ﷺ يعفو عن حقّه ـ اي العدل التام فيما يتعلق بعامة الناس ويجب تقسيمه بينهم بالعدل، وكذا العدالة في تطبيق حدود الله وفي توزيع المناصب وتفويض المسؤوليات وتحمل المسؤولية.

ومن البديهي ان العدالة غير المساواة، لا يلتبس الأمر عليكم، فقد يكون في المساواة ظلم أحياناً بينما العدالة تعني وضع كل شيء في نصابه، واعطاء كل ذي حقّ حقّه.

فقد كان العدل حينذاك عدلاً مطلقاً لا تشوبه شائبة، ولم يكن في عهد الرسول استثناء لأي شخص يجعله خارج اطار العدالة.

الثالث: العبودية الخالصة لله والخاليّة من أي شرك؛ أي العبودية لله في العمل الفردي... العبودية في الصلاة حيث يجب أن يكون فيها قصد التقرب اليه، وكذلك العبودية له في بناء المجتمع وفي النظام الحكومي وفي نظام الحياة، والعلاقات الاجتماعية بين الناس، وهذا موضوع يستلزم بحد ذاته شرحاً مستفيضاً.

الرابع: المحبّة الغامرة والعاطفة الجياشة، وهذه من السمات الأساسية للمجتمع الإسلامي... حبُ الله وحبّه تعالى للناس **﴿يحبّهم ويحبّونه﴾** **﴿ان الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهّرين﴾** **﴿قل أن كنتم تحبون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾**، الحبّ... حبّ الزوجة وحب الأولاد، من المستحب تقبيل الاولاد، وتستحب محبتهم، ويُستحب حب الزوجة، ويُستحب حبّ الأخوة المسلمين

والتحبب اليهم، والأعظم هو حب الرسول وأهل بيته، قال تعالى: ﴿إلّا المودة في القربى﴾.

تغيير المجتمع الجاهلي

لقد رسم الرسول هذه الخطوط العريضة وأرسى ركائز المجتمع على أساسها، ووضع معالم الحكومة عشر سنوات على هذا المنوال ومن الواضح طبعاً ان تربية الناس تأتي على نحو تدريجي ولا تتحقق دفعة واحدة. وبذل الرسول قصارى جهوده على امتداد هذه السنوات العشر لترسيخ تلك الأُسس، والعمل على مد تلك الجذور في أعماق الأرض. إلّا أن فترة العشر سنوات تعتبر قصيرة جداً اذا ما أريد بها تربية الناس على خلاف ما كانوا قد ترعرعوا عليه من سجايا وخصال، فقد كان المجتمع الجاهلي في كل شؤونه على النقيض تماماً من محتوى هذه الركائز الأربع، لأنه كان فارغاً من أية معرفة وغارقاً في حيرة الجهل والضلال ،ولم تكن لديه أية عبودية لله، بل كان مجتمع تجبّر وطغيان، بعيد عن العدالة ويعج بألوان الظلم والتمييز.

رسم أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الثانية من نهج البلاغة صورة فنية رائعة عمّا كان سائداً في العصر الجاهلي من ظلم وتمييز، جاء فيها: «**في فتن داستهم بأخفاها ووطأتهم باظلافها**».

كان المجتمع آنذاك مجرّداً من معاني المحبّة، فكانوا يئدون بناتهم، وكل قبيلة تثأر لقتيلها من أي رجل تجده من قبيلة القاتل، سواء كان مستحقاً للقتل أم غير مستحق، مجرماً أم بريئاً، عالماً بتلك القضية أم لا. كان يسودهم الاضطهاد والقسوة والغلظة والفضاضة المطلقة.

من نشأ في تلك الحالة يمكن أن يُصلح ويُهذّب على مدى عشر سنوات ـ إن تحققت شروط ذلك ـ ويمكن ادخاله في الاسلام، ولكن لا يمكن غرس هذه القيم والمفاهيم في أعماق نفسه الى الحدّ الذي يجعل لديه القدرة على ايجاد نفس هذا التأثير على الآخرين.

دخل الناس في الاسلام أفواجاً وزرافات، ودخل في الاسلام أُناس لم يعايشوا الرسول ولم يدركوا تلك السنوات العشر مع النبي. وهنا تتجلى أهمية مسألة الوصية التي يعتقد بها الشيعة، ويكمن منشأ الوصية والنص الإلهي، من أجل ديمومة ذلك النهج التربوي، وإلّا فمن الواضح انها ليست من سنخ انواع الوصايا الأُخرى المتداولة في هذا العالم، فكل انسان يوصي قبل وفاته لابنه، إلّا أن القضية هناك تعني لزوم استمرارية نهج الرسول من بعده.

لا أُريد الدخول في المباحث الكلامية بل أُريد تناول التاريخ بشيء من التحليل ولتتناولوه أنتم أيضاً بمزيد من التحليل. لهذا البحث طبعاً ـ صلة بالجميع ولا يختص بالشيعة وحدهم، فهو للشيعة وللسنّة ولجميع الفرق الاسلامية على حد سواء ـ ونظراً لما يتصف به من الأهمية، يجب ان يحظى اذن باهتمام من قبل الجميع.

وأما عن الوقائع التي جرت من بعد رحيل الرسول، فما الذي حدى بالمجتمع الاسلامي خلال تلك الخمسين سنة للنكوص عن تلك الحالة الى هذه؟ وهذا هو أصل القضية... ويجب أن يلاحظ متن التاريخ بشأنها. من البديهي ان البناء الذي بناه الرسول ما كان لينهار بهذه السهولة. ولهذا نلاحظ انّ من بعد رحيل الرسول، استمرت عامة الأمور ـ باستثناء

قضية الوصية ـ على ما كانت عليه فكانت العدالة في وضع حسن، والذكر في حالة حسنة، والعبادة على ما يرام واذا نظر المرء الى الهيكل العام للمجتمع الاسلامي في سنواته الأولى يجد الأمور كما كانت ولم يرجع شيء القهقرى. نعم كانت تقع بعض الحوادث بين الفينة والأخرى إلّا أن ظواهر الأُمور كانت تعكس بقاء نفس الأُسس والركائز التي وضعها النبي ﷺ، لكن الأُمور لا تبقى على حالها فسرعان ما ينحدر المجتمع الاسلامي تدريجياً نحو الضعف والخواء.

صراط الذين انعمت عليهم

ثمة نقطة في سورة الحمد أشرت اليها عدّة مرّات في لقاءات مختلفة. فحينما يدعو الانسان ربّه ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ يوضح بعدها معنى ذلك الصراط المستقيم في قوله: ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ فهو تعالى قد أنعم على كثير من الأقوام والأمم؛ فأنعم على بني اسرائيل، ﴿**يا بني اسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**﴾ والنعمة الإلهية لا تختص بالانبياء والصالحين والشهداء: ﴿**أُولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين**﴾ فقد نالها هؤلاء، وبنو اسرائيل أيضاً.

والذين يُنعم عليهم فريقان:

فريق حينما ينال النعمة لا يتعرض لغضب الله، ولا يحقق دواعي الغضب الالهي، ولا يضل سبيل الهداية، وهؤلاء هم الذين ندعو الله أن يهدينا سبيلهم. وعبارة ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾ تمثل في الحقيقة صفة ﴿**الذين أنعمت عليهم**﴾ أي ان صفة (الذين) هي (غير المغضوب عليهم).

اما الفريق الآخر فهم الذين حينما أنعم الله عليهم، بدلوا النعمة وتمردوا عليها، ولهذا حلّ عليهم غضبه أوانهم ائتموا بأولئك فضلّوا السبيل وتشير رواياتنا الى ان المراد من (المغضوب عليهم) هم اليهود، وهذا البيان مصداق تلك الحقيقة. لأن اليهود وحتى زمن النبي عيسى، كانوا يحاربون النبي موسى وأوصياءه عن علم وقصد. أمّا (الضالين) فهم النصارى... انهم ضلوا بادئ ذي بدء أو ضلّ أكثرهم على أدنى الاحتمالات حينما أنعم الله عليهم.

أما المسلمون فأنزل الله عليهم نعمته... إلّا أن النعمة تبدّلت ـ نتيجة لما اقترفوه ـ صوب المغضوب عليهم وصوب الضالين. ولهذا ورد عن الامام الصادق عليه السلام، انه قال: «**لما قتل الحسين اشتد غضب الله على أهل الارض**» وذلك لأنه امام معصوم. ويفهم من هذا ان المجتمع الذي ينال النعمة الإلهيّة قد يسير في اتجاه يجلب عليه غضب الله ولهذا يجب توخّي أقصى درجات الدّقة والحذر في المسير، وهو أمر عسير طبعاً ويستلزم الانتباه واليقظة.

اوضاع الخواص بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

أُورد في ما يلي بعض الأمثلة: فالخواص والعوام أصبح لكل منهما وضعه الخاص به، فاذا ضلّ الخواص قد يدخلون في خانة (المغضوب عليهم)، أما العوام قد يصبحون في فئة (الضالين) وكتب التاريخ زاخرة طبعاً بالمصاديق والأمثلة ـ وسأنقل لكم ـ من هنا فصاعداً مما جاء في تاريخ ابن الأثير، واتحاشى النقل من أي مصدر شيعي، بل ولا أنقل حتى من مصارد التاريخ السنّية التي يشكك السنّة في روايتها، مثل ابن قتيبة الدينوري، اذ جاء في كتابه (الامامة والسياسة) امور وقضايا تثير الدهشة.

حينما ينظر المرء الى مضامين كتاب ابن الأثير الموسوم بـ (الكامل في التاريخ) يشعر بوجود عصبية أموية وعثمانية فيه، واحتمل إنه أنتهج ذلك الأسلوب مداراة لبعض الاعتبارات، فقد نقل هذا المؤرخ عن أحداث مقتل عثمان، ان عثمان قتله أهل مصر والكوفة والبصرة والمدينة وغيرهم.

وبعدما نقل نصوصاً وأحباراً تاريخية مختلفة يقول : وقد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعة الى قتل [عثمان]، لعلل دعت الى ذلك.

وعند نقله لقصة ابي ذر وكيف ان معاوية حمله الى المدينة من الشام بغير وطاء، ونفاه من المدينة الى الربذة بصورة شنيعة، قال: وقد حصلت امور لا يصلح نقلها. وعلى هذا فامّا أن يكون هذا المؤرخ قد انتهج أسلوباً من الرقابة الشخصية ـ حسب التعبير المعاصر ـ وأما أن يكون متعصباً وهو على كل الأحوال لم يكن شيعياً ولا يميل الى التشيع، بل يحتمل انه كان أُموي وعثماني الهوى وأُوكد ثانية على ان كل ما سأورده بعد الآن انما انقله عن ابن الاثير هذا.

أنقل في ما يلي أمثلة عن الخواص، كيف كان الخواص على امتداد هذه السنوات الخمسين بحيث وصلت الأمور الى هذا الحد؟ وحينما أُدقق النظر في احداث؟ وظروف ذلك العصر اُلاحظ ان هذه الركائز الأربعة، العبودية، والمعرفة، والعدالة، والمحبّة... قد تزعزعت واضرب لكم بعض الأمثلة كما وردت في التاريخ عيناً.

طلحة بن عبد الله

كان سعيد بن العاص من بني أُمية ومن أقارب عثمان. وقد تولى بعد الوليد بن عقبة بن أبي معيط ـ الوليد هو الشخص الذي شاهدتم مقتطفات من حياته في

المسلسل التلفزيوني الامام علي ﷺ، والذي وقع مقتل الساحر في محضره ـ ليصلح ما كان قد افسده الوليد.

قال ذات يوم رجل في مجلسه: «ما أجود طلحة!» ولا بدّ ان طلحة كان قد وهب احداً مالاً او تكرّم على شخص فقال سعيد: «أن من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جواداً» وكانت النشاستج ضيعة كبيرة قرب الكوفة يملكها صحابي الرسول، طلحة بن عبد الله الذي كان يعيش حينذاك في المدينة ثم أردف قائلاً: «والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله به عيشاً رغداً» قارنوا بين هذا الوضع وبين حالة في عهد رسول الله والفترة الأولى من بعد رحيله ولاحظوا طبيعة الحياة التي كان يعيشها الأكابر والأمراء والصحابة في تلك السنوات وكيف كانوا ينظرون الى الدنيا. لقد وصلت الأمور الى هذا الحد بعد مضي عشر سنوات أو خمس عشر سنة فقط.

أبو موسى الاشعري

المثال الآخر هو أبو موسى الاشعري... والي البصرة ـ وهو الأشعري صاحب الموقف الشهير في قضية التحكيم ـ فقد صعد المنبر ذات يوم، حنيما كان والياً على البصرة وكان الناس يستعدون لاحدى الغزوات... فنادى في الناس وحثّهم على الجهاد وذكر شيئاً في فضل الجهاد، فترك نفر دوابهم واجمعوا أن يخرجوا رجّالة طمعاً في الثواب، «فحملوا على فرسهم» أي طردوها من أمام عيونهم لأنها تحرمهم من الثواب إلّا أن جماعة آخرين من العقلاء فضّلوا التأمل ومشاهدة حقائق الأمور وقالوا: لا نعجل في شيء حتى ننظر ما يصنع، فان أشبه قوله فعله، فعلنا كما يفعل، جاء في نص عبارة ابن الأثير في هذا الصدد: «فلما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلاً» كانت تلك ممتلكاته الثمينة وكان

مضطراً الى اصطحابها حيثما حل وارتحل حتى في ميادين الجهاد ، والسبب في ذلك انّه لم تكن ثمّة مصارف أو بنوك في ذلك العصر ، اضف الى أن الحكومات لا اعتبار لها ، فقد يأتيه الأمر من الخليفة وهو في ساحة الجهاد بعزله من منصبه ، واذا حصل ذلك لا يمكنه الرجوع الى البصرة وأخذ تلك الأموال ، لذلك كان مضطراً لحملها معه فحمل ممتلكاته الثمينة على اربعين بغلاً وأخذها معه الى ميدان الجهاد .

فلما خرج جاءه قوم وتعلّقوا بعنانه وقالوا : أحملنا على بعض هذه الفضول وارغب في المشي كما رغّبتنا ، فضرب القوم بسوطه ، فتركوا دابته ، فمضى إلّا انهم طبعاً لم يتحملوا ذلك منه بل ذهبوا الى المدينة وشكوه الى عثمان ، فعزله ، ان أبا موسى الذي كان من صحابة الرسول ومن طبقة الخواص ، كان على مثل هذا الحال؟

سعد بن أبي وقاص

المثال الثالث : هو سعد بن أبي وقاص الذي عيّن والياً على الكوفة . اقترض سعد مالاً من بيت المال ، فلم يكن بيت المال بيد الوالي ، لأنهم كانوا في ذلك العصر ينصبون الوالي للقيام بأُمور الحكومة وادارة شؤون الناس ، وينصبون شخصاً غيره للشؤون المالية وهو مسؤول أمام الخليفة مباشرة .

وحنيما عيّن سعد بن أبي وقاص والياً على الكوفة ، كان خازن بيت المال عبد الله بن مسعود وكان صحابياً جليلاً .

بعدما اقترض سعد من عبد الله بن سعود من بيت المال مالاً ، قاضاه ابن مسعود بعد مدّة ، فلم يتيسّر له قضاؤه فارتفع بينهما الكلام وأشتد النزاع وكان

هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص حاضراً ـ وهو من أصحاب امير المؤمنين وكان رجلاً شريفاً ـ فقال: انكما لصاحبا رسول الله ﷺ والناس ينظرون اليكما لا تتنازعا وحاولا حل القضية بينكما على نحو ما، فخرج ابن مسعود وكان رجلاً أميناً ـ ثم استعان بأُناس على استخراج المال من دار سعد ـ وهذا يعني ان المال كان موجوداً، ولما علم سعد استعان بأُناس آخرين على منع اولئك. ونتجت عن مماطلة ابن ابي وقاص في رد الأموال منازعة شديدة.

فاذا كان سعد بن أبي وقاص وهو من أصحاب الشورى الستّة قد وصل به الأمر الى هذا الحد بعد بضع سنوات بحيث وصف ابن الأثير الحادثة بالقول، «فكان أول ما نُزع به بين أهل الكوفة». فأول نزاع يقع بين أهل الكوفة ـ بتعبير ابن الأثير ـ سببه رجل من الخواص تغلب عليه حب الدنيا الى هذا الحد.

مروان بن الحكم

المثال الآخر هو أن المسلمين لما فتحوا بلاد أفريقيا وقسّموا الغنائم بين الجيش، كان يجب عليهم ارسال خمس تلك الأموال الى المدينة، وكان مقدارها هائلاً. نقل ابن الأثير في موضع آخر ان هذا المبلغ حينما أُرسل الى المدينة اشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة الف دينار وكان هذا المبلغ ضخماً جداً اضافة الى أن قيمة ذلك الخمس كانت أكبر من ذلك المبلغ بكثير. وكان هذا مما أخذ على الخليفة عثمان في مابعد. وكان عثمان يعتذر عن ذاك طبعاً ويقول انه رحمي، وأنا أصل به رحمي لانه يعيش في ضنك وأنا أُريد مساعدته او خلاصة القول هي ان الخواص كانوا يتهافتون على جمع الأموال.

الوليد بن عقبة

والقضية الأُخرى هي انه [عثمان] عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط، والاخير من اقارب الخليفة. فلما دخلها تعجب أهلها من تولية هذا الشخص عليهم لانه كان معروفاً بالحماقة والفساد، وفيه نزلت الآية الشريفة ﴿ان جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا﴾ أي ان القرآن وصفه بالفسق، لانه جاء بخبر عاد بالضرر على البعض في عهد الرسول.

أُنظروا الى المعايير والمقاييس وتبدّل احوال الناس. فهذا الشخص الذي سماه القرآن ـ الذي كان الناس يقرؤونه يومياً ـ فاسقاً أصبح والياً. وحتى ان سعد بن ابي وقاص نفسه، وعبد الله بن مسعود تعجباً حين شاهداه قادماً الى الكوفة والياً، وقال له عبد الله بن مسعود لما وقع بصره عليه «ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس»؟ وكانت دهشة سعد بن أبي وقاص من بُعد آخر، حيث قال له: «أكست بعدنا أم حمقنا بعدك»؟ فقال له الوليد: «لا تجزعنَّ أبا اسحاق، كل ذلك لم يكن انما هو الملك يتغداه قوم ويتعشّاه آخرون». فتألم سعد بن أبي وقاص من هذا الكلام، فهو من صحابة رسول الله، وقال له «أراكم جعلتموها ملكاً».

الولاية حكومة ملؤها محبة الناس والارتباط بهم

ذات مرّة سأل عمرٌ سلماناً: «أملك أنا أم خليفة»؟، وكان سلمان شخصية كبيرة ومحترمة وهو من الصحابة الكبار ولرأيه وزن كبير فقال له سلمان: ان انت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ووضعته في غير حقّه فانت ملك لا خليفة.

لقد بيّن له المعيار. قال ابن الأثير: فبكى عمر. فقد كانت موعظة عميقة المغزى حقّاً. فالقضية قضية خلافة، والولاية والخلافة معناها الحكومة المقرونة بالمحبّة وبالتلاحم مع الجماهير، ويواكبها عطف وحنو على ابناء الشعب، وهي ليست تسلّط أو تحكم، في حين لا تحمل الملكيّة مثل هذا المعنى ولا شأن لها بشؤون الناس، فالملك حاكم متسلّط يفعل ما يشاء.

هكذا كان حال الخواص، والى هذا الحد انتهى بهم المآل خلال تلك السنوات وهذا ما حصل طبعاً في عهد الخلفاء الراشدين الذين كانوا يولون أهمية للتمسك بالأحكام، بسبب معايشتهم فترة طويلة لعهد الرسول الذي لا زال صداه ﷺ يدوّي في المدينة حتى ذلك الحين، وكان شخص كعلي بن ابي طالب حاضراً في ذلك المجتمع، ولكن بعد انتقال مركز الخلافة الى دمشق تجاوزت القضية تلك الحدود كثيراً.

كانت هذه أمثلة لما كانت عليه أحوال الخواص ولو نقّب شخص في تاريخ ابن الأثير أو المصادر التاريخية الأُخرى المعتبرة لدى الاخوة المسلمين لعثر على آلاف ـ وليس مئات ـ الامثلة من هذا القبيل.

يهودي ينطق باسم الاسلام

انه من الطبيعي حينما تضيع العدالة ـ وحينما تزول عبودية الله، يصبح المجتمع مجتمعاً خاوياً وتفسد النفوس. فذلك المجتمع حين يصل به التهافت على حطام الدنيا واكتناز الثروة الى ذلك الحد، والشخص الذي ينقل فيه المعارف للناس هو كعب الأحبار اليهودي الذي أسلم لاحقاً ولم يدرك عهد الرسول، فهو لم يدخل الاسلام في عهد الرسول ولا في عهد أبي بكر وانما في عهد عمر،

وتوفي في عهد عثمان ... ما بالُك بذلك المجتمع؟

يقول البعض ان تسمية هذا الرجل بكعب الأخبار خطأ، وانما هو «كعب الأحبار»، والأحبار جمع حبر، والحبر هو عالم يهود، فهذا الرجل كان قطب علماء اليهود ... وثب ... فدخل في الاسلام، ثم اخذ يتحدث في مسائل الاسلام وكان ذات يوم جالساً في مجلس عثمان اذ دخل أبو ذر، فقال قولاً أغضب أبا ذر، فقال أبو ذر،: مالك ههنا؟ أتعلّمنا الاسلام وأحكامه ونحن سمعناها من رسول الله ﷺ. حينما تفتقد المعايير وتضيع المقاييس وتتقوض القيم، وتفرغ القضايا من المحتوى ... وتقتصر على الظواهر، وحينما يستولي حب الدنيا وجمع المال على أُناس قضوا عهداً مديداً بالعزّة والزهد في زخارف الدنيا وقُيّض لهم نشر تلك الراية عالياً، حينها يتصدى لشؤون الثقافة والمعرفة مثل ذلك الشخص الذي اعتنق الاسلام لاحقاً ويطرح باسم الاسلام ما يراه هو شخصياً لا ما يقوله الاسلام، ثم يريد البعض تقديم قوله على قول مُسلمٍ له باعٌ في الايمان.

قصص العوام

هذا حال الخواص. ثم ان العوام يتبعون الخواص ويسيرون وراءهم حيثما ساروا، ولهذا فانّ من أكبر الجرائم التي ترتكبها الشخصية البارزة المتميزة في المجتمع هو انحرافها، لان انحرافها ينتهي الى انحراف الكثير من الناس الذين اذا رأوا القيم قد حُرّفت وان الاعمال تناقض الاقوال وتنافي ما جاء في سنّة الرسول ﷺ، تجدهم يسيرون هم أيضاً في هذا المسار أُسوة بالخواص.

عمار بن ياسر رجل القيم

وانقل لكم مثلاً عن عامة الناس... كتب والي البصرة الى الخليفة يذكر له كثرة أهل البصرة وعجز خراجهم عن المصرف، وسأله أن يزيد أهل البصرة خراج مدينتين. ولما بلغ أهل الكوفة ذلك سألوا واليهم عمار بن ياسر ـ الرجل النبيل الذي بقي صامداً كالطود الشامخ... ولا شك في انه كان هناك اشخاص لم تهزّهم الهزاهز إلّا انهم كانوا قلّة ـ ان يكتب للخليفة يطلب منه أن يزيدهم خراج مدينتين إلّا أنه رفض تلبية طلبهم فأبغضوه لذلك وشكوه الى الخليفة، فعزله عن الولاية ووقع مثل هذا لابي ذر ولآخرين، ولعل عبد الله بن مسعود كان أحدهم، فحينما لا تراعى مثل هذه الجوانب يتجرد المجتمع فيها من القيم. وهنا تكمن واحدة من تلك العبر.

التقوى تعني مراقبة النفس والآخرين

وأعلموا يا اعزائي ان المرء لا يقف على حقيقة مثل هذه التطورات الاجتماعية إلّا بعد مرور وقت طويل، وهذا ما يوجب علينا الانتباه والحذر والمراقبة، وهو معنى التقوى... فالتقوى ان يتحرّز على نفسه من ليس له سلطان إلّا على نفسه، وان يتحرّز على نفسه وعلى غيره من له سلطان على غيره أيضاً. أما الذين يقفون على رأس السلطة فيجب عليهم التحرّز على أنفسهم وعلى المجتمع كلّه لكي لا ينزلق نحو التهافت على الدنيا والتعلق بزخارفها، ولا يسقط في هاوية حب الذات وهذا لا يعني طبعاً الانصراف عن بناء المجتمع، بل يجب بناء المجتمع والاستكثار من الثروة، ولكن لا لأنفسهم، فهذا مستقبح. كل من لديه قدرة على زيادة ثروة المجتمع والقيام بانجازات كبرى، يكسب ثواباً

عظيماً، لقد استطاع البعض خلال هذه السنوات بناء البلد ورفع راية الاعمار عالياً وانجاز أعمال كبرى، وهذه مفخرة لهم، ولا يدخل عملهم هذا في اطار حب الدنيا. وانما يصدق حب الدنيا فيما لو كان المرء يطلب النفع لذاته ويعمل لنفسه، أو يفكر في جمع الثروة لنفسه من بيت مال المسلمين أو من غيره. وهذا هو التصرف القبيح. يجب اذن الحذر من الوقوع في مثل هذه المنزلقات، واذا انعدم الحذر ينحدر المجتمع تدريجياً نحو التجرّد من القيم ويبلغ مرحلة لا تبقى له فيها سوى القشرة الخارجية، وقد يأتيه على حين غرّة ويفاجئه ابتلاء شديد كالابتلاء الذي تعرض له ذلك المجتمع حين اندلاع ثورة أبي عبد الله عليه السلام فلا يخرج منه ظافراً.

الري ثمنٌ لقتل عزيز الزهراء عليها السلام

عُرضت على عمر بن سعد ولاية الري، وكانت الري في ذلك الوقت ولاية شاسعة وغنية، ولم يكن منصب الامارة [على عهد بني أمية] كمنصب المحافظ في الوقت الحاضر، فالمحافظون اليوم موظفون حكوميون يتقاضون مرتبات ويبذلون جهوداً شاقة فيما لم يكن الأمر حينذاك على هذا النحو. فالذي يُنصّب والياً كان مطلق اليد في التصرف بجميع الثروات الموجودة في تلك المدينة يتصرف فيها كيف يشاء بعد أن يرسل مقداراً منها الى عاصمة الخلافة، من هنا كان منصب الوالي يحظى بأهمية فائقة.

ثم شرطوا توليّه الري بمحاربة الحسين عليه السلام من الطبيعي ان الانسان النبيل وصاحب القيم لا يتردد لحظة في رفض مثل هذا العرض، ما قيمة الري وغير الري، لو وضعت الدنيا بين يديه فلا يعبس بوجه الحسين.... لا يكفهر بوجه

الحسين، فما بالك بالنهوض لمحاربة عزيز الزهراء وقتله هـو واطـفاله. هكـذا يقف الانسان الذي يحمل قيماً، ولكن حينما يكون المـجتمع خـاوياً ومـجرداً من القيم، وحينما تضعف هذه المبادئ الاساسية بـين افـراد المـجتمع، تـرتعد الفرائص عند ذاك، واكثر ما يستطيع المرء عمله في مثل هذا المـوقف هـو انـه يستمهلهم ليلة واحدة للتفكير في الأمر. وحتى لو انه فكر سـنة كـاملة لوصـل الى نفس النتيجة ولاتخذ نفس القرار اذ لا قيمة لمثل هذا النمط من التـفكير إلّا أن الرجل فكر في الأمر ليلة وأعلن في اليوم التـالي عـن مـوافـقته عـلى ذلك العرض، إلّا أن الله تعالى لم يمكّنه من بلوغ تلك الغاية. وكـانت نـتيجة ذلك ان وقعت فاجعة كربلاء.

تحليل لواقعة عاشوراء

اشير هنا بكلمة في تحليل واقعة عـاشوراء... شـخص كـالحسين عليه السلام - والحسين تجسيد لكل القيم الإلهيّة والانسـانية - يـنهض بـالثورة حـتى يـقف بوجه استشراء الانحطاط الذي أخذ يتفشى فـي أوصـال المـجتمع وأوشك أن يأتي على كل شيء فـيه... بـلغ الانـحطاط أن لو شـاء النـاس العـيش حـياة اسلامية كريمة، فأنهم يجدون أيديهم خالية من كل شيء... وفي ظـرف كـهذا يثبت الامام الحسين، ويقف بكل وجوده امام ذلك الخواء والفساد المـتصاعد، ويضحّي مـن أجـل القـيم الالهـيّة بـنفسه وبأحـبائه وبـولديه: عـلي الأصـغر وعلي الأكبر، وبأخيه العـباس... ثـم يـصل الى النـتيجة المـطلوبة إذ أحـيى الحسين جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «**... وأنا من حسين**» هذا هو الوجـه الآخـر للـقضية، فـواقـعة كـربلاء الزاخـرة بـالملاحم، وهـذه الملحمة الخالدة لا يمكن ادراك كنهها إلّا بمنطلق العشق وبـمنظار الحب. فـهي

واقعة لا يتيسّر النظر اليها إلّا بعين العشق ليُفهم ما الذي صنع الحسين بـن عـلي من بطولة ومجد خلال يوم وليلة أي منذ عصر يوم التاسع مـن المـحرم وحـتى عصر العاشر منه... بحيث خلّده في هـذه الدنـيا وسـيخلده الى الابـد، ولهـذا أخفقت جميع الجهود التي بذلت لمحو حادثة الطف مـن الأذهـان وطـيها فـي أدراج النسيان.

عاشوراء... ميدان عبرة[1]

ما معنى العبرة؟

ان عاشوراء فضلاً عن كونها درساً فهي ميدان عبرة، وعلى الانسان التدبر بها للاعتبار، فما معنى الاعتبار؟ انه يعني وضع نفسه موضع مقارنة مع تلك الحالة وادراك الوضع او الظرف الذي يمر به وماهي الاخطار التي تهدده وما هو ضروري بالنسبة له. فعلى سبيل المثال انك ترى سيارة انقلبت أو اصطدمت مع سيارة اخرى وادى ذلك الى مصرع ركابها فانك تقف لتعتبر من هذا الحادث فتفكّر بالسرعة التي كانت تسير بها وطريقة السياقة التي افضت الى هذا المآل، فهذا نوع آخر من الدروس، يأتي عن طريق الاعتبار، ولابد هنا من الاسهاب نوعاً ما في بحث هذا الموضوع.

أوّل عبرة

اول عبرة تثير اهتمامنا نحوها في قضية عاشوراء هي اننا نشاهد ما حصل في المجتمع الاسلامي بعد خمسين سنة من رحيل النبي ﷺ بحيث يُقدم الامام الحسين عليه السلام على مثل هذه التضحية لانقاذه، فلو كانت تضحية الحسين بن علي عليه السلام قد جاءت بعد الف سنة من الصدر الاول للاسلام وفي قلب الدول والامم المخالفة للاسلام والمعاندة له لكان ذلك بحث آخر، لكن الحسين بن

---

(١) لقاء القائد بافواج وسرايا وفصائل عاشوراء التابعة لقوات المقاومة التعبوية بتاريخ ٢٢ / ٤ / ١٣٧١ هـ . ش.

علي ﷺ يشاهد وضعاً قد ساد في مركز العالم الاسلامي ـ مكة والمدينة ـ ولم يرا بداً معه إلّا التضحية بدمه الطاهر، ولكن ما الوضع الذي شعر معه الحسين بن علي ﷺ بعدم امكانية احياء الاسلام إلّا من خلال تضحيته هو وإلّا فانه زائل؟ هنا تكمن العبرة.

قاد النبي ﷺ المجتمع الاسلامي وكان يعقد الرايات من مكة والمدينة ويرسل بها المسلمين الى اقاصى الجزيرة العربية ونحو الشام فيهددوا الامبراطورية الرومانية فتلوذ جيوشها بالفرار امام المسلمين الذين يعودون الى بلادهم منتصرين ـ كما حصل في تبوك ـ وكان صوت القرآن يرفع في مآذن مساجده ويقتحم ازقة مدنه، والنبي ﷺ يتلو على الناس آيات الله ويعظهم ويأخذ بأيديهم حثيثاً الى صراط الهداية.

فما حدى بحيث ابتعد هذا المجتمع عن الاسلام هذا البعد فيحكمهم شخص مثل يزيد؟ ويطرأ وضع فيرى شخص كالحسين بن علي ﷺ بأن لا مندوحة امامه سوى الاقدام على هذه التضحية الكبرى التي لا نظير لها في التاريخ، فما الذي حصل كي تصل الامور الى ما وصلت اليه؟ وهنا تكمن العبرة.

آفة المجتمع الاسلامي

علينا اليوم التدبر بهذه القضية بدقة، فنحن نشكل اليوم مجتمعاً اسلامياً وعلينا ان نبحث عما اصاب ذلك المجتمع من آفة بحيث آل امره الى يزيد، وما الذي حصل بحيث ان تلك المدينة التي كانت مركزاً لحكومة أمير المؤمنين ﷺ تشهد بعد عشرين عاماً من شهادته رؤوس اولاده وهي تُشال على رؤوس الحراب ويطاف بها في الازقة؟

لم تكن الكوفة غريبة عن الدين، بل هي تلك المدينة التي كان أمير المؤمنين عليه السلام يتجول في اسواقها، حاملاً السوط بيديه ويأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وكان يرتفع في مساجدها صوت تلاوة القرآن آناء الليل واطراف النهار، انها نفسها تلك المدينة التي شهدت فيما بعد بنات امير المؤمنين عليه السلام وحرمه وهنّ سبايا يطاف بهن في الاسواق.

العوامل الاساسية للانحراف والضلال

ما الذي حصل خلال السنوات العشرين هذه بحيث بلغ الامر هذا الحد؟ واي مرضٍ خطير هذا الذي بمقدوره الوصول بالمجتمع الذي كان يقف على هرمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام الى هذا الحد وعلى مدى بعضه عقود من الزمن؟ وعلينا أن نخشى هذا المرض.

اذا كان امامنا العظيم يضع نفسه في عداد المتخرجين من مدرسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويشمخ، مفتخراً فان افتخاره يكمن في قدرته على فهم الاحكام التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والعمل بها والتبليغ لها. ولكن اين امامنا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فالمجتمع الذي كان قد شيّده النبي صلى الله عليه وآله وسلم اصيب بتلك الحالة بعد مرور سنوات معدودة، وعلى مجتمعنا إلّا التحلي بالحذر لئلا يصاب بذلك الوباء. وهنا تكمن العبرة.

علينا ان نشخّص ذلك الوباء ونعتبره خطراً جسيماً يهددنا فنتجنبه، واني اعتقد ان هذا البلاغ من عاشوراء هو الأهم بالنسبة الينا اليوم من بين سائر دروس عاشوراء وبلاغاتها. فعلينا ان نشخص الوباء الذي نزل بذلك المجتمع بحيث يطاف برأس الحسين بن علي عليهما السلام سبط الشخصية الاولى في الاسلام وابن

خليفة المسلمين علي بن ابي طالب عليه السلام في تلك المدينة التي كان ابوه يتربع على سدة الحكم فيها، ولم يتحرك فيها متحرك! ومنها ينطلق الناس نحو كربلاء ليقتلوه واصحابه عطاشى ومن ثم يقومون بسبي حرم امير المؤمنين عليه السلام!

ثمة كلام كثير في هذا الموضوع، وانني اذكر آية من القرآن كرد على هذا التساؤل، فالقرآن قد اجابنا وحدد لنا الداء حيث يقول **﴿فخلفَ من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً﴾**[1].

الابتعاد عن ذكر الله واتباع الشهوات

ان العوامل الجوهرية لهذا الانحراف والضلال تتمثل في شيئين هما الاول: الابتعاد عن ذكر الله ومظهره الصلاة، ونسيان الله وافراغ الحياة من الجوانب المعنوية، التخلي عن التوجه والذكر والدعاء والتوسل الى الله سبحانه، وعدم الاتكال عليه، ومحو التعاليم الالهيّة من الحياة العامة، اما الثاني فهو اتباع الشهوات **﴿واتبعوا الشهوات﴾** والاهواء النفسية، وبتعبير موجز حب الدنيا والانكباب على جمع الثورة والاموال واستغراق باللذائذ الدنيوية.

الوباء الجسيم هو زوال المبدأية

انه بلاء عظيم واساسي وقد نصاب به أيضاً، فاذا ما زالت او تضاءلت المبدأية في المجتمع الاسلامي وانهمك كلٌ منا بالتناحر الداخلي واصابتنا الخشية من ان نتخلف عن الآخرين في الجوانب الدنيوية، مدعين ان الآخرين قد جمعوا فلنجمع نحن أيضاً، حينها نرجّح مصالحنا الشخصية على مصالح المجتمع، فمن الواضح حينها ان الوضع سيصل الى هذا الحد!

---

(١) سورة مريم: ٥٩.

ان النظام الاسلامي انما يتبلور ويصان ويتقدم من خلال الايمان والهمم العالية وطرح الشعارات واحياء الشعائر والاهتمام بها ، اما اضعاف الشعارات وعدم الاهتمام بالاصول الاسلامية والثورية وطرح الامور وفهمها من خلال الحسابات المادية ، كل ذلك سيجر المجتمع الى ذلك المآل ، وهذا ما ابتلي به المسلمون في مرحلة صدر الاسلام .

عندما تنقلب المعايير

لقد مرّ زمنٌ على المسلمين كان المهم فيه تقدم الاسلام ورضى الله سبحانه وتعليم الدين والعلوم الاسلامية والتعرف على القرآن ومعارفه ، وكان نظام الحكم وادارة الدولة يتصف بالزهد والتقوى وعدم الاهتمام بالدنيا وزخارفها والابتعاد عن الاهواء الشخصية ، فكان نتيجة ذلك تحركاً عظيماً نحو الله ، وفي مثل تلك الاوضاع يصل شخص مثل علي بن ابي طالب عليه السلام الى الخلافة ، ويتبوء الحسين بن علي عليه السلام مكانة متميزة ، وذلك لتجسد المعايير في شخصياتهم اكثر من الآخرين .

عندما يكون المعيار الله ، التقوى ، الاعراض عن الدنيا ، والجهاد في سبيل الله ينزل من تتوفر لديهم هذه المعايير الى الساحة فيمسكون بزمام الامور حينها يتحول المجتمع الى مجتمع اسلامي ، اما اذا انقلبت الموازين وتولى الامور مَن كان اكثر حباً للدنيا واكثر اشباعاً للشهوات واكثر تحايلاً لبلوغ المصالح الشخصية واكثر بعداً عن الصدق والامانة ، ستكون عاقبة ذلك تسلّط افراد كعمر بن سعد وعبيد الله بن زياد ، ويُقتل شخص مثل الحسين بن علي عليه السلام .

على الحريصين عدم السماح بتغيير المعايير

يتعين على الذين يتحلّون بالحرص عدم السماح بانقلاب المعايير في المجتمع اسلامي، فاذا ما تزلزل معيار التقوى في المجتمع فمن الواضح ان نتيجة ذلك تكون اراقة دم انسان تقي كالحسين بن علي عليه السلام واذا ما اصبح الملاك التحايل والتوسل بالقوة والاعراض عن القيم الاسلامية فمن الواضح ان يتربع شخص مثل يزيد على رأس الهرم، ويصبح شخص مثل عبيد الله بن زياد الرجل الاول في العراق.

لقد كان على الاسلام ان يغيّر هذه المعايير، وهو ما يتعيّن على ثورتنا ان تقوم به حيث تتصدى للمعايير الباطلة والخاطئة الحاكمة على العالم المادي وتغيّرها.

ان عالم اليوم هو عالم التجبر والقوة والشهوات، عالم تغليب القيم المادية على القيم المعنوية، وهذا مالا ينحصر بحاضرنا، بل لم تزل الجوانب المعنوية تتجه نحو الافول والضعف منذ قرون، ولقد بُذلت المساعي من اجل القضاء على الامور المعنوية فجاءوا بذوي القدرة وعبّاد المادة والرأسماليين ليقيموا نظاماً يتحكم بالدين وتقف على رأسه قدرة مثل امريكا هي الاكثر كذباً وتحايلاً واعراضاً عن الفضائل الانسانية، والاكثر قسوة بحق البشرية وتتبعها سائر القوى كلٌ حسب قدرته.

الثورة الاسلامية والاستلهام من عاشوراء

تعني الثورة الاسلامية فيما تعنيه احياء الاسلام من جديد واحياء شعار: **﴿أن اكرمكم عند الله اتقاكم﴾** ولقد جاءت الثورة الاسلامية لتحطيم هذا البناء الخاطىء الذي يسود العالم واقامة بناء جديد بدلاً عنه، فاذا ما اريد لذلك البناء

المهيمن على العالم أن يكون مادياً يصبح واضحاً ان شهوانياً فاسداً وضالاً ذا وجه كالح كمحمد رضا بهلوي سيقف على رأس السلطة فيما يُلقى شخص فاضل كالامام في السجن والمنفى، حيث لا يبقى مكان للامام وسط المجتمع اذا ما حكمت القوة والفساد والتزوير والرذيلة، بل سيكون السجن او المعتقل والمذبح مآل ذلك الفاضل الصادق النوراني العرفاني المتوجه لله سبحانه.

ولكن حينما تغيرت الاوضاع وامسك شخص كالامام بزمام الامور وزالت الشهوات وحب الدنيا والتبعية والفساد، حلّت محلها التقوى والزهد والصفاء والنورانية والجهاد والحرص على البشرية والتراحم والمروّة والاخوّة والايثار والتضحية، فسادت هذه الفضائل والقيم بمجيء الامام.

حذاري من اضعاف روح الثورة وعزل ابنائها

اذا ما حافظنا على هذه القيم حينها سيدوم نظام الامامة، ولا يقاد آنذاك مَن هُم على شاكلة الامام الحسين بن علي عليه السلام الى المذابح، اما اذا اضعنا القيم والروح التعبوية، واذا ما تركز تفكيرنا بالتجملات الشخصية بدلاً من الاهتمام بالتكاليف والمبادىء الالهيّة، وعزلنا ذلك التعبوي المؤمن المخلص الذي لا يبغي سوى توفير ميدان يتمكن من خلاله خوض غمار الجهاد، وسلّطنا من اتصف بالصلافة والطمع والطموح ومن افتقر للصفاء والجوانب المعنوية، حينها سيتغير كل شيء، واذا ما كان الفاصل الزمني بين رحيل النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم او بين شهادة سبطه خمسين عاماً فربما يتقلص هذا الفاصل في عصرنا وسرعان ما يُقضى على هذه الفضائل ويُقاد اصحابها الى المذابح، فعلينا التصدي للانحراف الذي ربما يفرضه العدو علينا، اذن الاعتبار من عاشوراء يتمثل في: ألا ندع روح الثورة وابناء الثورة يعيشون العزلة وسط المجتمع.

ما الذي حصل حتى وقعت حادثة كربلاء؟[1]

الجرثومة التي لوّثت جسد المجتمع

لقد تحدثت ذات مرة حول العبر المستقاة من حركة الامام الحسين عليه السلام وقلت: فضلاً عن الدروس التي نتعلمها من هذه الحادثة فان هنالك عبراً نستوحيها منها أيضاً، فالدروس تعلّمنا ماذا نصنع، اما العبر فهي تعلمنا التعامل ما حدث من واقعة وما قد يقع في المستقبل.

العبرة من حركة الامام الحسين عليه السلام تتمثل في أن يتأمل المرء في التاريخ وينظر فيما دهى ذلك المجتمع الاسلامي الذي كان يقف على راسه شخص كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس انساناً عادياً واستمر يحكم المجتمع لمدة عشر سنوات بما تمتع فيه من قدرة تفوق التصور البشري ومرفوداً بالوحي الالهي الازلي، والحكمة اللامتناهية التي تحلى بها، ثم تلاه حكم امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فاصبحت الكوفة مقر هذا الحكم العظيم، فما الذي حصل واي جرثوم نفذ الى جسد هذا المجتمع بحيث يُقتل شخص كالحسين بن علي عليهما السلام بذلك الوضع بعد مضي نصف قرن من رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعشرين عاماً من شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وسط ذلك المجتمع واولئك الناس؟

ما الامر وما الذي حدث؟ ما الذي حصل وكيف تقع مثل هذه الواقعة؟

---

(١) من لقاء القائد مع قادة ومنتسبي حرس الثورة الاسلامية وقوى الامن الداخلي يوم ٥ / ١٠ / ١٣٧٤ بمناسبة يوم الحرس.

اضف الى ذلك انها لم تقع لصبيّ مجهول، بل هو ذلك الصبي الذي طالما ضمّه رسول الله ﷺ الى صدره وأجلسه الى جانبه على المنبر وهو يتحدث الى الناس، هو ذلك السبط الذي قال بحقه رسول الله ﷺ «**حسين منّي وأنا من حسين**»، فلقد كانت العلاقة بين الجد والسبط وثيقة الى هذا المستوى، هو ذلك الولد الذي كان يمثل ركناً من اركان حكومة امير المؤمنين عليه السلام على صعيد الحرب والسلم والسياسة، لقد كان يتألق كالشمس.

يصل الوضع بذلك المجتمع بحيث ان ذلك الانسان البارز وسبط النبي ﷺ بما هو عليه من تقوى وشخصية مرموقة وعزة وما لديه من حلقات درس في المدينة، وبين أوساط اولئك الاصحاب والانصار والمحبين والشيعة المنتشرين في مختلف بقاع العالم الاسلامي، يُقتل بتلك الطريقة المؤلمة محاصراً عطشاناً، ولم يقتصر القتل عليه، بل كل من معه من الرجال وحتى طفله ذي الاشهر الستة، ومن ثم تُسبى نساؤه واطفاله كالاسارى ويدار بهم من بلدةٍ الى بلدةٍ فما الامر وما الذي حدث؟ انها لعبرة.

قارنوا بين مجتمعنا وذلك المجتمع كي تعثروا على مواطن الاختلاف بينهما، فنحن في مجتمع يقف على رأسه امامنا العظيم الذي هو بلا شك اعظم وابرز البشر في زماننا، فاين امامنا من النبي ﷺ؟ فلقد كانت القدرة الهائلة للنبي ﷺ التي نُفخت في ذلك المجتمع بحيث انه ﷺ بقي يقود المجتمع حتى بعد عشرات السنين من وفاته. فلا تتصوروا ان الفتوحات التي حصلت انما كانت منقطعة عن انفاس النبي ﷺ، انها قدرة ذلك الانسان العظيم التي سارت وتسير قدماً بالمجتمع الاسلامي.

فالنبي ﷺ متواجد في الفتوحات التي حققها ذلك المجتمع والتي يحققها

مجتمعنا حتى بلغ الامر الى ما هو عليه الآن.

لطالما اوجه كلامي الى الشباب والطلبة والحوزويين وغيرهم ان احملوا التاريخ محمل جدٍّ وتدبروا فيه بدقة وشاهدوا ما الذي حصل. إذ ان ﴿**تلك أُمّة قد خلت**﴾ فالاعتبار بالماضي درس يدعونا القرآن لتعلمه. ان اصل القضية يكمن في عدة نقاط لا اريد الخوض في تحليلها وبيانها الآن، فلقد قلتُ حولها ما يكفي والباب مفتوح للبحث والتدبر وما على المحققين الا الجلوس والتدقيق بتفاصيل ذلك كلمة كلمة.

العامل الاساسي: تفشي حب الدنيا والفساد والفحشاء

من الامور التي اصبحت عاملاً اساسياً في هذه القضية هو تفشي حب الدنيا والفساد والفحشاء الذي سلب المروّة الدينية والشعور بالمسؤولية والايمان، وان السبب الرئيس في تركيزنا على قضية الفساد والفحشاء والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وما شابه ذلك هو أن الفساد والفحشاء يصيبان المجتمع بالخدر، فالمدينة التي كانت أول مركز للحكومة الاسلامية تحوّلت بعد مدة قصيرة الى محطة لافضل الموسيقيين والغانيات واشهر الراقصات حتى بلغ الامر اذا ما اراد البلاط في الشام استقدام اشهر المغنين فانهم يتوجهون نحو المدينة ليستقدموا منها المغنين والمطربين.

ولم يقع هذه التجاسر بعد مئة او مائتين سنة، بل قريباً من شهادة بضعة فاطمة الزهراء عليها السلام، وحتى ما سبقها، فقد وقع في زمان معاوية! واصبحت المدينة مركزاً للفساد والفاحشة فتلوث ابناء العوائل الراقية والمعروفة وحتى بعض الشباب من بني هاشم بالفساد، فكان اقطاب الحكم يعرفون ماذا يفعلون

واين يضعون ايديهم وماذا يروّجون، ولم يقتصر هذا البلاء على المدينة فحسب بل ان مناطق اخرى ابتليت به أيضاً.

إحذروا اعاصير الفساد

وهنا تتجلى ضرورة التمسك بالدين والتقوى والجوانب المعنوية واهمية الورع والعفاف، ولهذا السبب تكرر منّا الحث والتوصية لخيرة شبابنا في هذا الزمان بالتزام الحذر من اعاصير الفساد.

فمن الذي يناظر الشباب المنتسبين للحرس الثوري والتعبويين؟ انهم في الحقيقية يمثلون خيرة الشباب حيث يتقدمون ميادين العلم والدين والجهاد، فاين يمكننا العثور عل مثل هؤلاء؟ وقلما تجد لهم نظيراً في الدنيا وبهذه الكثرة، بناءً على ذلك لابد من التزام الحيطة من الوقوع في الفساد.

واليوم فقد صان الله سبحانه حرمة هذه الثورة وجوانبها المعنويّة، وان شبابنا يتحلون بالطهارة والعفّة، ولكن اعلموا ان زخارف الدنيا وحلاوتها امر خطير وهي مما يزلزل القلوب القوية والاشداء من الناس فلابد من الوثوب بوجه هذه الوساوس، وهذا ما عبّر عنه بالجهاد الاكبر، فلقد انجزتم جهادكم الاصغر على احسن وجه ووصلتم الى مرحلة فعليكم انجاز الجهاد الاكبر على احسن وجه.

العامل الآخر ... اهمال اتباع الحق لمصير الاسلام

اما العامل الآخر الذي دفع بالاوضاع الى هذه المرحلة وهو مايلمسه المرء في حياة الائمة عليهم السلام، هو ان اتباع الحق الذين كانوا يعدّون الفقرات الاساسية لكيان الولاية والتشيع قد اهملوا مصير العالم الاسلامي ولم يعيروه اي اهتمام،

والبعض منهم ابدى نوعاً من التحمّس والنشاط إلّا ان تشدد الحكام وكما حصل في الهجوم على المدينة في عصر يزيد الذي بعث برجل ظالم لقمع اولئك الذين هتفوا ضد يزيد فتنازل هؤلاء عن كل شيء وانسحبوا جانباً وتناسوا كل الامور، وبالطبع لم يكونوا جميعهم من اهل المدينة بل بعضهم، وكانت الاختلافات قد استشرت بينهم.

كانت الاوضاع خلافا للتعاليم الاسلامية تماماً فلا اتحاد ولا تنظيم ولا اتصال بين القوى، فكانت النتيجة ان وقع العدو فيهم تقتيلاً بلا رحمة، فواجهوه بالانسحاب عند اول مواجهة، وهذا أمر مهم للغاية.

انه لأمر طبيعي ان يشهد الصراع بين الحق والباطل تبادلاً بينهما في الضربات فكما ان الحق يوجه ضرباته للباطل فالأخير أيضاً يوجّه ضرباته للاول، وهكذا دواليك حتى يصاب احدهما بالارهاق قبل صاحبه فيخضع للهزيمة.

السر الحقيقي في استمرار معارف الانبياء

ان السر الذي يقف وراء استمرار معارف الانبياء منذ البداية وحتى الآن هو كلمة التوحيد والفضائل والقيم الدينية، وهي ذاتها المعارف التي عمّت الدنيا اليوم فحيثما توجهون ابصاركم تجدون معارف الانبياء هذا والانبياء باجمعهم ـ عدا قلّة منهم ـ قد تعرضوا للقمع، فذاك موسى عليه السلام بما تعرض له من اضطهاد أو عيسى بما نال من ملاحقات وضغوط، لكن معارفهم ظلت خالدة الى يومنا هذا.

السر الحقيقي في ذلك هو ان الانبياء عليهم السلام لم يتخلوا عن الساحة ولم يدفع اخفاق احدهم ان يستسلم الآخر للباطل، فلقد تجرع الانبياء باسرهم ـ

سوى قلّة منهم ـ الضربات من اعدائهم، وتعرضوا للقتل او الحرق أو السجن او النشر وهم احياء وتجرعوا التعذيب على ايدي الجبابرة، ولكن هاهي الدنيا تستظل تحت راية معارف الانبياء، واينما تولوا وجوهكم فثمة معارف الانبياء وما الاخلاق الحسنة والمصطلحات الجميلة كالعدالة والسلام... الخ إلّا ثمرة تعاليم الانبياء عليهم السلام. ان السر وراء كل ذلك هو عدم الشعور بالكلل وعدم ترك الميدان.

وهذا الاصل لم يكن له وجود في عهد الامام الحسين عليه السلام وذلك المقطع من تاريخ الاسلام فكان ان اعقب هذه الفاجعة الكبرى، وبسبب ذلك كانوا يفتقدون التواصل فيما بينهم وسرعان ما يشعرون بالهزيمة والكلل ويتركون الميدان، فكانت النتيجة ان يمضي العدو قدماً.

استلهام الامام قدس سره من تجربة كربلاء

لقد جرت الاستزادة من هذه التجربة مرة واحدة فاثمرت عن انتصار ساحق وذلك في ثورتنا الاسلامية، فلقد خلق الله سبحانه امامنا العظيم قدس سره بحيث انه لم يشعر بالهزيمة والتعب ابداً ولم يجد الفشل طريقاً الى روحه، فكان يؤمن بالتقدم حتى في احلك الظروف، وهذا ما لمستموه منه عن قرب خلال سنوات الحرب الثماني، حيث لم يقرر التراجع حتى في اصعب الظروف فلقد وقف كالطود الشامخ، وإذا ما أُسند الانسان بطودٍ شامخ حينذاك سيقاتل مطمئناً.

وهكذا كان اثناء فترة الصراع ضد نظام بهلوي حيث واصل جهاده بالرغم من الاخفاقات والصعاب والضربات والضغوط والنفي والتقدم في السن، فعندما

باشر الامامؒ جهاده لم يكن شاباً بل كان في الثالثة والستين من عـمره، وانـي لاتذكره حينما قال في خطاب له عام ١٣٤١ هـ. ش: لماذا ومـمّ اخـاف؟ فـلو قتلوني وانا في الثالثة والستين ـ وهذا هو العمر الذي رحل فيه رسول الله ﷺ وامير المؤمنين ؑ عن الدنيا ـ فانني ساغادر الدنيا وهل هنالك سـعادة تـفوق ذلك؟. لقد كان هذا منطقهُ.

طود شامخ وصامد

لقد كان عمر الامام يومذاك ثلاث وستون سنة حيث انطلق في جهاده ولما كان الوضع مناسباً فقد تحمّل المشقات وهو في سن الكهولة، كما انه قاد الثورة وهو في الثمانين حتى التسعين بما شهدته من وقائع كبرى وهذا ما لمستموه فلم تهزه تهديدات امريكا والاتحاد السوفياتي واتحادهما وحرب السنوات الثماني والحصار الاقتصادي والاعلامي والسياسي... الخ «**لا تحركة العواصف**» فلم تستطع اية عاصفة من هزّه فانتصر.

لقد طُبقت هذه التجربة مـرة واحـدة وذلك عـلى صـعيد ثـورتنا حـيث وقف الشعب المجاهد خلف ذلك الرجل بصفوف متراصـة، بـل حـتى ضـعاف الناس التحقوا بالمسيرة حتى مُني العدو بالهزيمة، وها هو عـدونا اليـوم يُـمنى بالهزيمة.

اين موقعكم في هذه الواقعة[1]

علينا ان نعيش الهواجس

القرآن يدعونا الى التدبر بالماضي واخذ العبر من التاريخ ولكن قد يأتي البعض ويتفلسف بأن الماضي لا يمكن ان يكون مثالاً للحاضر. هذه الآراء يثيرها البعض ويتصور انه قادر على صياغتها كاطروحة فلسفية، لكنه لا يستطيع ذلك! ولا شأن لنا بأمثال هؤلاء.

القرآن صادق مصدّق وهو يدعونا الى استقاء العبرة من التاريخ. والاعتبار بالتاريخ يعني حالة القلق التي عرضت لها آنفاً، لان التاريخ تكتنفه أمور لو أردنا الاعتبار بها لساورتنا بعض الهواجس، وهذه الهواجس ذات صلة بالمستقبل. ولكن لماذا؟ وما سبب هذه الهواجس؟ وما الذي جرى عبر التاريخ؟

عِبر عاشوراء

الواقعة التي حدثت كانت في صدر الاسلام. وقد ذكرت في وقت ما ان الأُمة الاسلامية حرّي بها ان تفكر في السبب الذي وصل بالبلاد الاسلامية بعد وفاة الرسول بخمسين سنة فقط الى ان يجتمع أبناؤها من وزير وامير وقائد وعالم وقاضي وقارىء للقرآن في الكوفة وكربلاء، ويمزقوا كبد رسول الله ﷺ بتلك الطريقة الفجيعة.

---

(١) لقاء قائد الثورة الاسلامية مع قادة ومنتسبي الفرقة ٢٧ محمد رسول الله ﷺ التابعة لحرس الثورة الاسلامية.

على الانسان ان يطيل النظر في الاسباب التي انتهت الى تلك الحالة وقد سبق لي وأن تحدثت فيما سبق في هذا الموضوع قبل سنتين او ثلاث تحت عنوان (عبر عاشوراء) طبعاً هذا شيء آخر يختلف عن موضوع (دروس من عاشوراء) كدرس الشجاعة، ودرس الايثار وما الى ذلك، والشيء الأهم من دروس عاشوراء هو العبر المستقاة من عاشوراء.

سبق لي وان ذكرت ان الامور وصلت الى الحد الذي جعلهم يأتون بحرم الرسول الى الشوارع والأسواق أمام انظار الناس ويصمونهم بالخوارج، والخوارج في الاسلام مصطلح يطلق على من يخرجون على الإمام العادل ويشقون عصا الطاعة، وهم يستحقون لعنة الله ورسوله والمؤمنين، هذا هو معنى الخوارج، ولهذا السبب كان المسلمون آنذاك ينفرون من الخوارج «من خرج على امام عادل فدمه هدر» هذا مع ان الاسلام يولي أهمية فائقة لدماء الناس.

لقد أشاعوا ان سبط رسول الله، ابن فاطمة وابن أمير المؤمنين، خارج على الامام العادل، وذلك الامام العادل هو يزيد بن معاوية وصدّقهم الناس!

ان افراد السلطة الحاكمة اناس ظلمة يقولون ما يحلو لهم، ولكن لماذا يصدّقهم الناس ولماذا يلتزمون الصمت ازاء هم؟!

لماذا اصيبت الامة الاسلامية بالغفلة والهوان؟

ان ما يثير هواجسي هو هذا الجانب من القضية، لماذا وصلت الأمور الى هذا الحد؟ ولماذا اصيبت الأمة الاسلامية وهي على تلك الدرجة من التدقيق في تفاصيل الأحكام الاسلامية والآيات القرآنية، لماذا أُصيب بهذه الحالة من الغفلة والتهاون والتراخي الذي انتهى الى بروز فاجعة كهذه؟ هذه المسألة تشغل فكر

الانسان وهل نحن أقوى عزماً واشد شكيمة من مجتمع الرسول وعهد أمير المؤمنين؟ وماذا نفعل حتى لا يجري مثلما جرى؟

طبعاً السؤال الذي اثرته حول تلك الأسباب لم يجب عليه أحد، ولكن جوابه عندي وأُشير الى ان احداً لم يتحدث في هذا الموضوع أو انهم قد تحدّثوا حوله ولكن ليس بالشكل الوافي والكافي.

أود اليوم التحدث بايجاز في هذا المجال، وحديثي سيكون مقتضباً بالنسبة لأصل القضية، سأثير رؤوس المواضيع أمام افكاركم لتخوضوا فيها بأنفسكم وليتقصّى جذورها المفكرون والباحثون، وليفكروا في السبل الكفيلة بالحيلولة دون تكرارها.

يجب الحيلولة دون تكرار التاريخ

اذا لم نقف انا وأنتم بوجهها اليوم، فلا تعجبوا اذا رأيتم مجتمعنا الاسلامي وصل الى تلك الحال، ربما بعد خمسين سنة أو بعد خمس سنوات أو بعد عشر سنوات، إلّا اذا كانت هناك ابصار ثاقبة تسبر اغوار الامور، وعين امينة تدل على الطريق، واصحاب فكر يوجهون الأمور، وارادة صلبة تساند هذاالمسار، ليتكون عند ذاك خندق متين وقلعة حصينة لا يستطيع احد اختراقها، وإلّا فستتكرر الحالة ذاتها فيما اذا أهملنا، وعندها ستذهب كل هذه الدماء هدراً.

بلغت الأُمور في ذلك العهد حداً تربع فيه ابن وحفيد من قتلوا يوم بدر على يد امير المؤمنين وحمزة وبقية قادة الاسلام، في مكان الرسول، ووضع امامه رأس مهجة رسول الله، وصار يضرب على ثناياه بعود من الخيزران وينشد:

ليت اشياخي ببدرٍ شهدوا　　جزع الخزرج من وقع الأسل

هنا يأمر القرآن بالاعتبار ويقول: ﴿قل سيروا في الارض﴾ انـظروا مـا الذي وقع، والتزموا جانب الحذر ولأجل ان يسري هذا المعنى ان شـاء الله فـي الثقافة الحالية لبلدنا على أيدي المفكّرين والباحثين واصحاب الرأي، أتحدث اليكم اليوم باقتضاب عن هذا الموضوع.

الخواص والعوام في المجتمع

لاحظوا يا أعزائي! اذا نظرتم الى المجتمع البشري؛ اي مجتمع كان، وفي أية مدينة أو بلد، تجدون الناس فيه يُقسمون ـ من وجهة نظر معيّنة ـ الى فئتين:

فئة تسير عن فكر وفهم ووعي وارادة، وهي تعرف طريقها وتسلكه ـ ولا يهمنا في هذا المقام ان مسلك هذه الفئة على صواب أو أنه مسلك خاطىء ـ هذه الفئة يمكن تسميتها بالخواص.

وفئة أُخرى لا تنظر لترى ما هو الطريق الصحيح، وما هو الموقف الصائب ولا يهمها ان تفهم وتحلّل وتقيس وتدرك، بل تتبع الجو السائد والهوى العـالم، ولنُسمّ هذه الفئة بالعوام، اذن فالمجتمع يمكن تصنيفه الى خواص ويجب ان لا يقع فيها اي التباس.

من هم الخواص؟ هل هم طبقة خاصة؟ كلا لان هذه الفئة التـي نسـمّيها بالخواص تضم بين افرادها اشخاصاً متعلمين وآخرين غير متعلمين، فقد يكون احياناً بين الخواص شخص غير متعلم لكنه يفهم ما ينبغي عليه فعله، وهو يعمل وفقاً لتخطيط وارادة حتى وان لم يكن قد دخل المدرسة أو لديه شهادة أو يرتدي زي العلماء، لكنه متفهم لحقيقة الأمور.

في أيام ندلاع الثورة ـ وقبل انـتصارها ـ كـنت فـي المـنفى فـي مـدينة

«ايرانشهر» وفي احدى المدن القريبة كان هنالك مجموعة من الاشخاص من بينهم سائقٍ، وهم من ذوي الثقافة والمعرفة، ورغم انهم يصنّفون ظاهرياً في عداد العوام، إلّا انهم في الحقيقة وكانوا من الخواص؛ كانوا يأتون للقائنا في ايرانشهر بشكل منتظم، وينقلون لي حوارهم مع عالم الدين في مدينتهم، الذي كان رجلاً طيّباً إلّا انه كان من العوام!

لاحظوا، سائق الشاحنة من الخواص بينما ذلك العالم المبجّل امام الجماعة كان من العوام! كان العالم يقول : لماذا حينما يذكر اسم النبي تصلّون عليه مرّة واحدة، في حين اذا ذكر اسم السيد الخميني تصلّون على النبي ثلاث مرّات! الا تفهمون؟! فكان السائق يرد عليه بالقول يوم نفرغ من المجابهة، ويكون الاسلام قد ساد كل الأرجاء، واذا انتصرت الثورة فانا سنترك الصلاة عند ذكر اسم الخميني، ثلاث مرّات، بل لا نصلي ولا مرّة واحدة؛ هذه الصلوات الثلاثة اسلوب من أساليب المجابهة لاحظوا مع ان هذا الرجل سائق لكنه يدرك الحقيقة، لكن ذلك العالم لا يدركها.

ميزات الخواص

ذكرت هذا المثال لتعلموا اننا فيما نقول الخواص، فلا يعني ذلك انهم فئة ترتدي زياً معيّنة، فقد يكون رجلاً وقد يكون أمرأة، وقد يكون ثرياً وقد يكون فقيراً، وقد يكون من العاملين في الأجهزة الحكومية وقد يكون من المعارضين لأجهزة الحكومة الطاغوتية، وكلمة الخواص نقصد بها طبعاً الصالح والطالح منهم، ثم اننا سنصنّف الخواص، الى اقسام اخرى أيضاً.

الخواص هم الذين عندما يؤدون عملاً يتخذون موقفاً، والنهج الذي

يختارونه، يختارونه عن فكر وتحليل، اي انهم يـفهمون ويـقررون ويـعلمون، هؤلاء هم الخواص. والذين يقفون في الجانب المقابل لهم هم العوام.

العوام هم الذين يسيرون مع تيار الماء، ليس لديهم تحليل للمواقف، فيما يشاهدون الناس يهتفون «يعيش» يهتفون معهم وحينما يهتف النـاس «المـوت لـ...» يرددون نفس الهتاف. عندما تكون الأجواء في وضع معيّن يأتـون هـنا، وحينما تكون على منوال آخر يذهبون هناك!

تبعية العوام للاوضاع

نفترض ان مسلم بن عقيل دخل الكوفة، تراهم يقولون: لقد وفد ابن عـم الامام الحسين، لقد جاء مبعوث بني هاشم وهو عازم عـلى الثـورة والنـهوض فيُثارون ويلتفون حوله ويبايعونه، بايعه ثمانية عشر الفا، وبعد خـمس أو ست ساعات دخل رؤساء القبائل الى الكـوفة وقـالوا للـناس: لمـاذا اتـخذتم هـذا الموقف؟

عمّن تريدون الدفاع؟ وضد مَنْ؟ انكم ستدفعون الثمن غالياً! انسحب اولاً زعماء القبائل كل الى داره. وبعدما حاصر جنود ابن زياد دار طوعة للقبض على مسلم، انبرى اولئك الناس انفسهم لمحاربة مسلم!

هؤلاء هم العوام سلوكهم لا ينطلق عن تفكير، ولا هو قائم على تـحليل صائب، بل يتحركون وفقاً لما يمليه الجو العام.

الخواص في جبهتي الحق والباطل

اذن في كل مجتمع هناك خواص وهناك عوام. لنترك قضية العوام جـانباً

ونبحث في وضع الخواص.

ويقسّم الخواص طبعاً الى فريقين: خواص فريق الحق، وخواص فـريق الباطل، أليس كذلك؟ أهل الثقافة والفكر والمعرفة منهم يعملون لصـالح جـبهة الحق عرفوا الحق، وعلموا ان الحق مع هذا الجانب فـهم يـتحركون ويـعملون لأجله، اذن فهم يعرفون الحق، وقادرون على تشخيصه، هؤلاء يمثلون فريقاً اما الفريق الآخر فهم الذين يقفون على الطرف الضد لطرف الحق.

واذا ما عدنا الى صدر الاسلام ثانية؛ فهناك فريق اصحاب امير المؤمنين والامام الحسين وبني هاشم، وفريق آخر هم اصحاب معاوية، كان فـيهم مـن الخواص، كان فيهم اشخاص اذكياء من ذوي الرأي والتدبير يناصرون بني امية، وهؤلاء من الخواص أيضاً.

اذن خواص كـل مـجتمع عـلى نـمطين: الخـواص مـن أنـصار الحـق، والخواص من أنصار الباطل. وماذا ترجون من الخواص المشايعين للباطل؟ لا تتوقعوا منهم سوى التآمر ضد الحق وضدكم وهذا ما يفرض عليكم محاربتهم، حاربوا الخواص من أنصار الباطل، هذا أمر لا نقاش فيه.

الخواص من انصار الحق

نأتي الآن الى الخواص من انصار الحق، وأنا أتحدث اليكم الآن، انظروا الى انفسكم لتروا في أي موضع أنتم، وحينما نقول ان الأصل هو الفكر والاتباع عن رؤية لا نخلط بين التاريخ والقصّة، التاريخ وجه آخر لسيرتنا الذاتية.

التاريخ معناه انا وانتم، معناه نحن الموجودون اليوم هنا، واذا كـنا نـحن الذين نقدّم ونشرح التاريخ، فلابدّ ان ينظر كل منا محله من هذه القصّة، وفي اي

موضع منها. ثم لنرى ما الذي فعله من كان يومذاك في مثل موضعنا حتى كان نصيبه الخسران، لخطئه؟ حتى لا نقع في الخطأ نفسه. مثل ما هو متعارف في دروس التعليم العسكري، يفرض جهة معادية، والآخرى جهتنا ثم يلاحظ خطأ خطة جهتنا وتجدون ان العقل الذي وضع الخطّة قد اخطأ في هذا المكان، اذن حينما تريدون انتم وضع الخطّة يجب ان لا تقعوا في ذلك الخطا نفسه أو يفرض ان الخطة كانت صحيحة إلّا أن الآمر او المخابر او المدفعي او المراسل او جندياً عادياً في جبهتنا ارتكب خطأ، تدركون انتم وجوب عدم الوقوع في ذلك الخطأ هكذا هي مسيرة التاريخ والآن عليكم العثور على ذاتكم في هذا المشهد الذي اتحدث عنه في صدر الاسلام.

بعض الناس من طبقة العوام لا قدرة لهم على اتخاذ القرار، وأمرهم منوط بالفرصة المتاحة امام العوام، فاذا صادف ان كانوا في زمن يتعدى لزمام الأمر امام ـ كالامام امير المؤمنين عليه السلام أو كالامام الراحل قدس سره ويسير بهم نحو الجنّة، فخير على خير. وأمثال هؤلاء يسوقهم الصالحون وينتهي بهم الأمر ان شاء الله الى الجنة، اما اذا صادف وجود عاشوراء في زمن من يصفهم القرآن بقوله: **﴿وجعلناهم أئمة يدعون الى النار﴾** أو **﴿ألم تر الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار﴾** يكون مصيرهم الى النار.

حذاري ان تكونوا من العوام

اذن احذروا ان تكونوا من العوام ولا نقصد بكلامنا هذا وجوب اكمال مراحل دراسية متقدمة، ابداً، وقد قلت ان معنى العوام ليس هذا؛ فما أكثر الذين انهوا مراحل دراسية عليا، لكنهم يحسبون في عداد العلوم، وما اكثر من درسوا

العلوم الدينية وهم من العوام، وما اكثر الفقراء، او الاغنياء، الذين يدخلون في عداد العوام. ان صفة العوام رهن ارادتي وارادتكم، ولهذا علينا ان ننتبه ولا نكون من العوام، أي يجب ان يكون كل فعل نفعله، عن بصيرة، ومن لا يعمل عن بصيرة فهو من العوام، ولهذا ورد في القرآن الكريم على لسان رسول الله ﷺ **﴿ادعو الى الله على بصيرة أنا ومَنْ اتبعني﴾**.

اذن انظروا اولاً هل أنتم من فئة العوام ام لا؟ فاذا كنتم من تلك الفئة فسارعوا الى الخروج منها، حاولوا ان تكون لكم قدرة على التحليل والدراية والمعرفة.

امّا اذا كنا في عداد الخواص، فلنرى هل نحن من خواص انصار الحق أم من خواص انصار الباطل؟ والمسألة هنا واضحة، فالخواص في مجتمعنا من انصار الحق بلاريب، لانهم يدعون الناس الى القرآن والى السنّة والى العترة والى سبيل الله، والى القيم الاسلامية، هذه هي طبيعة الجمهورية الاسلامية. اذن فلا نتحدّث الآن عن الخواص من انصار الباطل ولا شأن لنا بهم حالياً، بل تمام الكلام في الخواص من انصار الحق. والمشكلة كلها تبدء من هنا.

الخواص الحق والابتلاءآت الصعبة

اعلموا يا اعزائي ان الخواص انصار الحق يقسّمون الى فريقين:

الفريق الاول هم الذين يتغلبون في الصراع مع مغريات الدنيا والحياة من الجاه الشهوة والمال واللذة والرفاه والسمعة والفريق الآخر هم الذين يخفقون في هذا الصراع. هذه ـ اي اللذة والسمعة والجاه وما شابه ـ كلها امور حسنة،

وكلها من مباهج الدنيا ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ والقرآن حينما يصفها بانها متاع الحياة الدنيا فلا يعني ذلك انها قبيحة، فالمتاع جعله الله ليستمتع به الانسان، ولكن اذا انغمس فيها الى الحد الذي يعجز معه عن اجتنابها فيما اذا استدعت التكاليف الصعبة منه ذلك، فهذا شيء واذا استمتع فيها الى الحد الذي يستطيع معه الكف عنها بكل سهولة عند حصول اي امتحان عسير، فهذا شيء آخر هذه الامور تستدعي اعمال النظر فيها، وتستلزم الدراسة والدقّة، لان افراد المجتمع، والنظام، والثورة لا يمكن ضمان مستقبلهم اعتباطاً، فكل مجتمع يوجد فيه هذان النمطان من أنصار الحق، اذا كان الفريق الصالح منهما، اي الذين يستطيعون عند الحاجة الانتهاء عن متاع الدنيا، هم الأكثر، فلن يقع المجتمع بما وقع فيه على عهد الامام الحسين عليه السلام وكونوا على ثقة ان المستقبل سيكون مضموناً الى الابد.

الخواص انصار الحق والتعلق بالدنيا

اما اذا كانوا قلّة وكان ذلك الفريق من الخواص اي المناصرين للحق هم الكثرة ولكن في الوقت نفسه تنهار معنوياتهم امام المغريات الدنيوية، بما فيها من ثروة ودار وشهرة ومنصب وجاه والذين يعرضون عن سبيل الله لأجل انفسهم، فيلتزمون الصمت حينما يجب قول الحق، حفاظاً على ارواحهم أو مناصبهم أو اعمالهم أو ثرواتهم او لحب الاولاد والاسرة والاقارب والاصدقاء هؤلاء اذا كانوا هم الكثرة فالويل كل الويل حينئذٍ، عندها ينزل السائرون على خطى الحسين الى ارض الشهادة ويقادون الى مسالخ الذبح، ويتسلّط اتباع يزيد على مقاليد الامور وسيحكم بنو امية الدولة التي اسسها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويطول حكمهم الف شهر وتتحول الامامة الى ملك وسلطان!

تبديل المجتمع الاسلامي الى مجتمع ملكي

المجتمع الاسلامي مجتمع الامامة اي يكون الامام فيه على رأس السلطة وهو الشخص الذي يكون بيده زمام الامور، والناس ينقادون له انقياداً قلبياً نابعاً من الايمان، اما السلطان فهو على خلاف ذلك يحكم الناس بالقهر والغلبة والناس لا يعتقدون به ولا يقبلون حكمه ولا يميلون اليه والمقصود من الناس هنا ذوو الفهم والوعي.

لقد بدّل بنو امية الامامة في الاسلام الى سلطنة وملكية وحكموا هذه الدولة الاسلامية الكبرى الف شهر أي تسعين سنة.

حينذاك وضعت أُسس بناء هش انتهى الى الثورة ضد بني امية الذين انقرضوا وجاء من بعدهم بنو العباس وحكموا العالم الاسلامي ستة قرون أي ستمائة سنة على اساس انهم خلفاء الرسول!

بنو العباس الذين كانوا خلفاؤهم او تعبير أدق ملوكهم يمارسون الفساد والفسق والملذات الخمور والفجور والفحشاء والخبائث وجمع الثروات ـ واللهو والملذات وآلاف انواع المفاسد الاخرى كانوا يحضرون المساجد أيضاً ـ كما هو حال سائر الملوك في العالم ـ ويأمّون الناس في الصلاة وكان الناس يصلّون خلفهم اضطراراً ـ وان لم يبلغ اضطرارهم ذلك الحد ـ او من باب الاعتقاد المغلوط، وهو ما أدى بالنتيجة الى تخريب معتقدات الناس!

لعن الله مَن غرس البذرة الاولى

اذا اصبح الخواص المناصرون للحق في مجتمع ما ـ كلهم أو اكثرهم ـ

يـخافون عـلى حـياتهم ومـن فـقدان الأمـوال والمـناصب والجـاه والمكـانة الاجتماعية ويخشون العزلة بسبب تعلقهم بالدنيا حينذاك لا يناصرون الحق ولا يضحّون بأنفسهم وحينما تصير الأمور الى هذا الحال حينئذٍ يقع في طليعة الامور استشهاد الامام الحسين عليه السلام بتلك الصورة المأساوية ويكون آخرها تسلّط بني أمية والعصابة المروانية ومن بعدهم بنو العباس ثـم سـلسلة السـلاطين الذيـن حكموا العالم الاسلامي الى يومنا هذا.

انظروا اليوم الى العالم الاسلامي والى بعض البلدان الاسلامية ولاحـظوا من يحكمها من فسّاق وفجّار وهكذا في بقية الأماكن ومن هنا تقولون في زيارة عاشوراء «**اللهم العن أول ظالم ظلم حـقّ مـحمد وآل مـحمّد**» وهـذه هـي الحقيقة.

حسناً اقتربنا شيئاً من تحليل واقعة عاشوراء ذات العبر الكـثيرة وبـعدما سمعتم هذه المقدّمة ننتقل الى التاريخ.

المزايا المادية منطلق انزلاق خواص الحق

بدا انزلاق الخواص المؤيدين للحق بعد وفاة الرسـول بست أو سـبع أو ثمان سنوات وحديثي هنا مع غض النظر عن مسالة الخلافة تماماً قضية الخلافة على حدة بل اتحدث الآن حول هذا النهج بسبب ما يـتصف بـه مـن خـطورة. القضايا بأجمعها وقعت بعد وفاة الرسول بسبع سنوات وبرزت أولى ـ مؤشراتها في قولهم: لا يجوز ان يستوي ذوو السابقة في الاسلام ـ وهم اصحاب الرسول ومن شهد منهم حروبه مع سائر الناس. هؤلاء يجب ان تكـون لهـم امـتيازات! فمنحت لهم امتيازات مالية من بيت المال!

كانت هذه هي اللبنة الأولى وهذا هو حال سائر التيارات المنحرفة تبدأ من نقطة صغيرة ثم يستفحل شأنها ويتفاقم مع كل خطوة. الانحرافات بدأت من هنا الى ان بلغت عهد عثمان حيث آلت الأوضاع في اواسط عهد الخليفة الثالث، الى حالة صار فيها كبار صحابة رسول الله ﷺ اثرى الاثرياء في زمانهم اي ان كبار الصحابة من ذوي الاسماء المعروفة كطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وامثالهم من ذوي المفاخر باتوا من راسماليي الطراز الاول! بحيث ان احدهم لمّا مات وارادوا تقسيم امواله بين وارثيه اضطروا الى كسر الذهب الذي أذابه وحوّله الى سبائك بالفؤوس كالحطب الذي يكسر بالفؤوس فكم كان مقدار الذهب اذن حتى يكسر بالفؤوس؟ والحال ان الذهب يوزن بالمثاقيل هذا ما سجله التاريخ!

علل المشكلات في عهد امير المؤمنين عليه السلام

هذا ليس مما يقال ان الشيعة سطّروه في كتبهم ابداً هذا ما كتبه الجميع فالمبالغ التي خلفوها من الدنانير والدراهم كانت مبالغ خيالية! وهذه الحالة هي التي أدت الى وقوع تلك الأحداث على عهد امير المؤمنين عليه السلام اي بما ان البعض صار يولي اهمية فائقة للمنصب لذلك فقد دخلوا في صراع معه.

هذا وقد مرّت خمس وعشرون سنة على وفاة الرسول ﷺ وقد بدأت الكثير من الاخطاء والاشتباهات بالظهور ان نفس امير المؤمنين عليه السلام هي نفس الرسول ﷺ ولولا هذه الفترة ـ الخمس وعشرون سنة ـ لما كانت تواجه علياً عليه السلام أية مشكلة في بناء ذلك المجتمع إلّا انه عليه السلام جوبه بمثل هذا المجتمع الذي يوصف بعض افراده بانهم «**يتخذون مال الله دولاً وعباده خولاً ودينه دخلاً**» مجتمع ضاعت القيم فيه في خضم حب الدنيا، مجتمع يواجه فيه أمير المؤمنين عليه السلام مصاعب جمّة عندما يريد قيادة الناس الى الجهاد.

أمير المؤمنين والامام الحسين عليهما السلام يتجرعان الغصص من الخواص

كان اكثر الخواص في عهد أمير المؤمنين عليه السلام من المناصرين للحق أي من الذين كانوا يعرفون الحق ولكنهم يرجحون الدنيا على الآخرة. وهو ما أدى به الى خوض ثلاث معارك وانهى فترة حكمه التي استمرت اربع سنوات وتسعة اشهر في هذه المعارك الثلاثة! الى ان استشهد في نهاية المطاف على يد احد الاشقياء.

ان دم امير المؤمنين عليه السلام غالٍ كدم الامام الحسين. تقرأون في زيارة عاشوراء «**السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره**» اي ان الله تعالى هو ولي دم الامام الحسين عليه السلام وولي دم ابيه امير المؤمنين عليه السلام ولم يرد مثل هذا التعبير لأحد غيرهما.

من البديهي ان لكل دم يراق ولياً، وهو مَن يسمى بولي الدم، فالأب ولي دم ولده والولد ولي دم ابيه والاخ ولي دم اخيه ويسمى هذا عند العرب ثاراً.

المطالبة بالدم ومالكية حق الدم يسمونها بالثأر والذي يطالب بدم الامام الحسين هو الله تعالى كما انه هو المطالب بدم امير المؤمنين عليه السلام اذن وليّ دم هاتين الشخصيتين هو الله تعالى.

لقد استشهد امير المؤمنين عليه السلام بسبب تلك الاوضاع ومن بعده جاء ابنه الحسن عليه السلام الذي لم يتسنّ له الصمود بوجه تلك الحالة اكثر من ستة اشهر اذ تخلى عنه انصاره وتركوه فريداً وحيداً فرأى انه اذا سار لمحاربة معاوية بهذه الثلّة القليلة واستشهد فلن يطالب احد حتى بثأره نتيجة لاستشراء الانحطاط الأخلاقي في المجتمع الاسلامي، وبين هؤلاء الخواص! وان دعاية معاوية وأمواله وحيله ستستحوذ على الجميع وسيقول الناس بعد مضي سنة او

سنتين ان الامام الحسن لم يحسن صنعاً اساساً حين تحدّى معاوية، ومعنى هذا ان دمه سيذهب هدراً، لذلك تحمل جميع المصاعب ولم يلق بنفسه في ميدان الشهادة.

الامام الحسن عليه السلام واختيار الاصعب

انتم تعلمون ان الشهادة تكون احياناً اسهل من البقاء على قيد الحياة وهذا المعنى يدركه جيداً اهل الحكمة والدقة والآفاق المعنوية. احياناً تصبح الحياة والعمل في اجواء معيّنة اصعب بكثير من القتل والشهادة ولقاء الله، لكن الامام الحسن عليه السلام سلك هذا السبيل الاصعب، في تلك الاوضاع كان الخواص في حالة انهيار ولم يكونوا على استعداد للقيام بأي تحرّك. ولهذا السبب حينما استلم يزيد السلطة ثار عليه الامام الحسين عليه السلام لأن يزيداً بما يتصف به من صفات سيئة كانت من السهولة محاربته، وفيما لو قتل أحد في محاربته لا يذهب دمه هدراً. كانت الاوضاع في عهد يزيد لاخيار فيها إلّا خيار الثورة، على العكس من زمن الامام الحسن عليه السلام الذي فيه خياران خيار الشهادة وخيار الحياة، وكان البقاء على قيد الحياة اكثر ثواباً وجدوى ومشقّة من القتل والامام الحسن عليه السلام اختار هذا المسلك الأكثر وعورة ولكن الوضع لم يكن على هذه الصورة في عهد الامام الحسين عليه السلام ولم يكن هناك إلّا خيار واحد والبقاء على قيد الحياة الذي يعني عدم الثورة ما كان له آنذاك اي معنى. كان لابد له من الثورة سواء انتهى به الامر الى القبض على الحكم ام كان مصيره الى الشهادة. كان عليه ان يرسم الطريق ويركّز الدلالة عليه ليكون واضحاً ان الامور اذا بلغت هذا الحد لابد وان يكون التحرك في هذا الاتجاه.

الدور المصيري للخواص

طيّب وعندما ثار الحسين عليه السلام لم يأت الكثير من هؤلاء الخواص لنصرته مع ما كانت له من منزلة عظمى في المجتمع الاسلامي! لاحظوا مدى الضرر الناجم عن وجود هؤلاء الخواص في المجتمع الخواص الذين يرجّحون دنياهم حتى على مصير العالم الاسلامي لقرون مقبلة مع ما كان للامام الحسين من مكانة وشهرة.

كنت أنظر في قضايا ثورة الامام الحسين عليه السلام وحركته من المدينة، ولاحظت انه في الليلة التي سبقت مسيره من المدينة كان عبد الله بن الزبير قد خرج من المدينة أيضاً، وفي الحقيقة كان كلاهما في وضع واحد ولكن أين عبد الله بن الزبير من الامام الحسين عليه السلام! حديث الامام الحسين كلامه، خطابه، أجبر ولي المدينة آنذاك ـ وهو الوليد على ان يرقق كلامه ولا يتبع الغلظة مع الحسين عليه السلام وما ان تفوّه مروان بكلمة إلّا والحسين يرد عليه مهدداً غاضباً ولا حيلة لمروان إلّا السكوت ذليلاً.

هؤلاء الاشخاص أنفسهم ذهبوا وحاصروا دار عبد الله بن الزبير فأخرج اليهم اخاه، فاستأذن منهم ان يسيّرهم الى دار الامارة في تلك اللحظة فأهانوه وهددوه ان هو لم يخرج اليهم قتلوه حتى خضع لهم وتوسل اليهم في أن يأذنوا له ان يرسل اخاه وغداً يأتيهم بنفسه.

عظمة الامام الحسين عليه السلام

ومع ان عبد الله بن الزبير كان شخصية بارزة أيضاً إلّا ان موقفه كان يختلف الى هذا لحد مع موقف الامام الحسين لم يكن احد يتجرأ على التصرف مع الامام

الحسين ﷺ او مخاطبته بهذا الاسلوب لما له من حرمة وما يتسم به من عظمة شخصية وهيبة وقوّة روحيّة.

وفي طريقه الى مكة كان كل من يلقاه ويتكلّم معه يخاطبه بالقول: جُعلت فداك، أو بأبي انت وأمي، أو عمّي وخالي فداك هكذا كانوا يكلّمون الامام الحسين، وهكذا كانت له مكانة ممتازة وبارزة في المجتمع الاسلامي، جاءه عبد الله بن مطيع وهو بمكة وقال له: «**يا ابن رسول الله، ان قُتلت لنسترقن من بعدك**»، اي ان هؤلاء القوم يحجزهم عن أذانا خشيتهم لك وهيبتهم منك، وانك اذا ثرت عليهم وقُتلت اتخذونا رقيقاً لهم.

كانت للامام الحسين ﷺ مكانة وعظمة يخضع لها حتى عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر وحتى عبد الله بن الزبير ـ مع انه لم يكن ينظر للامام ـ الحسين بعين الارتياح ـ كان يبدي له غاية التبجيل والأكرام.

جميع الأكابر والخواص من أنصار الحق، أي الذين لم يكونوا الى جانب الحكومة الاموية ولم يدخلوا جبهة الباطل وحتى من بينهم الكثير من الشيعة الذين يقروّن بامامة أمير المؤمنين ﷺ ويعتبرونه الخليفة الاول شرعاً، هؤلاء بأجمعهم حينما احسوا ببطش السلطة الحاكمة تخاذلوا رغبة في الحفاظ على انفهسم وأموالهم ومناصبهم ونتيجة لتخاذل هؤلاء مال عوام الناس الى جانب الباطل.

حركة العوام تابعة لحركة الخواص

لو نظرنا الى اسماء اهل الكوفة الذين كاتبوا الامام الحسين ﷺ ودعوه للقدوم اليهم، وكان كلهم طبعاً من طبقة الخواص ومن أكابر القوم ووجهاء الناس، وكان عدد الرسائل هائلاً بلغ مئات الصفحات، ـ وربّما ملأت عدّه خروج ـ

والذين كتبوها غالباً من الأعيان والوجهاء لتبيَّن من خلال لهجة تلك الرسائل كم عدد الخواص من أنصار الحق من كان على استعداد للتضحية بالدنيا في سبيل الدين. وهذا ما يمكن ان يستشف من خلال الرسائل.

ولكن بما ان عدد الذين كانوا يميلون الى التضحية بالدين في سبيل الدنيا كان اكبر، آلت النتيجة الى مقتل مسلم بن عقيل في الكوفة بعدما كان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً ومقتل الامام الحسين عليه السلام بكربلاء.

الواعون وعظمة هذه الحركة

معنى هذا ان حركة الخواص تجلب في اعقابها حركة العوام لا أدري هل عظمة هذه الحقيقة التي تلازم الناس الواعين على الدوام تتبين لنا بشكل واضح صحيح ام لا؟ لا بدّ وأنكم سمعتم بما جرى في الكوفة، اذ كان القوم قد كتبوا الرسائل الى الامام الحسين عليه السلام ان اقدم علينا معززاً فأوفد اليهم مسلم بن عقيل ليطلع على حقيقة الموقف، ان كان خيراً سار اليهم بنفسه.

سار مسلم، الى الكوفة ودخل دور كبار الشيعة؛ وتلا عليهم كتاب الامام الحسين اليهم فأخذ الناس يفدون عليه زرافات ويعلنون عن ولائهم وكان النعمان بن بشير والي الكوفة آنذاك شخصاً ضعيفاً ومسالماً، فأعلن ان لا يقاتل، إلّا من يقاتله ولم ينهض لمجابهة مسلم بن عقيل فرأى الناس ان المجال مفسوح امامهم فجاءوا الى مسلم وبايعوه.

بعث بعض الخواص المؤيدين للباطل ـ من أنصار الأمويين ـ رسالة الى يزيد يعلمونه فيها ان كانت له في الكوفة حاجة فليولي عليها رجلاً حازماً وان النعمان بن بشير لا طاقة له على مجابهة مسلم بن عقيل، فكتب يزيد الى عبيد الله

بن زياد الذي كان والياً على البصرة حينئذاك يعلمه بأنه عيّنه والياً على الكوفة مع احتفاظه بولاية البصرة وانطلق عبيد الله من ساعته يحث السير من البصرة الى الكوفة ويتضح دور الخواص ايضاً من خلال مجيئه الى هناك واذا رأينا المجال يسمح بذلك قد نعرض هنا جانباً من تلك القضية.

العوام يتحركون دون تحليل

وصل عبيد الله الى مشارف الكوفة ليلاً، وما أن رأى الناس رجلاً ملثّماً قادماً ومعه الخيل والعدّة، حتى ظنه العوام انه الامام الحسين عليه السلام فتقدموا اليه بكل بساطة وحيّوه قائلين: «السلام عليك يا ابن رسول الله»، هذه صفة عوام الناس؛ ليست لأحدهم قدرة على التحليل أو النظر في الأمر فما أن رأوا شخصاً قادماً ومعه الخيل والعدّة حتى ظنوّه الامام الحسين عليه السلام حتى قبل ان يتحدث معهم بكلمة واحدة وأخذ الجميع يردد انه الامام الحسين كان الجدير بهم ان يتأملوا ليعرفوا من هو.

لكن هذا القادم لم يلتفت الى الناس وسار الى دار الامارة وهناك عرفّهم بنفسه ودخل القصر وبدأ يخطط من هناك للقضاء على وثبة مسلم بن عقيل وتركزت مساعيه على استخدام اشد أساليب الضغط والتهديد والتعذيب ضد انصار مسلم بن عقيل واحتال على هانيء بن عروة واستقدمه الى القصر، وشجّ رأسه ووجهه. ولما احتشد بعض الناس حول القصر نجح بتفريقهم بأساليب الحيلة والكذب. وهنا أيضاً يتضح دور الخواص الفاسدين الذين يُسمّون بأنصار الحق، وهم الذين عرفوا الحق وميّزوه، لكنهم رجّحوا دنياهم على الدين.

وبعد ان سار مسلم بن عقيل بحشد كبير من أنصاره ـ جاء في كتاب ابن

الأثير ان عددهم بلغ ثلاثين الفا، والذين احاطوا بداره فقط بلغ عـددهم اربـعة آلاف يحملون السيوف دفاعاً عنه، كان هذا في اليوم التاسع مـن ذي الحـجة ـ سارع ابن زياد الى بث بعض خواص الباطل بينهم لأجل اثارة الخوف والرعب فيهم ويشيعوا بينهم ان لبني أُمية كل شيء؛ السلاح والمال والقوّة وان هـؤلاء لا شيء عندهم فاستشرى الذعر بين الناس وأخذوا يتفرقون عنه تدريجياً، وما ان حان وقت صلاة العشاء، حتى لم يبق مع مسلم أحد ونادى منادي ابـن زيـاد: يجب ان يحضر الجميع الى مسجد الكوفة عند صلاة العشاء ليصلّوا معه! وجـاء في المصادر التاريخية ان المسجد امتلأ بالناس للصلاة خلف ابن زياد.

تقاعس الخواص المناصرين للحق

حسناً، لماذا آلت الأمور الى ذلك المآل؟ انني حـينما انـظر أرى ان ذلك يُعزى الى الخواص من انصار الحق الذين سـلك بـعضهم مسـلكاً اسـهم بـغاية التخاذل، من امثال شريح القاضي! شريح هذا لم يكن من بني أُمية وكان يـعرف حقيقة الأوضاع ويدرك الحق مع من فحينما جاءوا بهاني بن عروة وشجّوا رأسه وجرحوا وجهه والقوه في السجن هبّت عشيرته وحـاصرت قـصر ابـن زيـاد، فخشى ابن زياد اجتماعهم، اذ يرون ان قاتل هانى هو ابن زياد، لذلك أمر شريحاً ان يذهب ليرى بعينه ان هانيء حيّ.

أطلع شريح على حياة هانيء بنفسه ولكنه وجده مجروحاً، فـما ان رأى هانيء شريحاً القاضي حتى استغاث بالمسلمين (مخاطباً لشريح) ايـن قـومي؟ هل ماتوا؟ لماذا لا يأتون وينقذوني مما انا فيه؟

يقول شريح: اردت ان أذهب وابلّغ المجتمعين حول قصر الامارة بمقالة

هانيء، لكن للأسف كان هناك جاسوس ابن زياد، فلم استطع! مـاذا يـعني (لم استطع)؟ يعني ترجيح الدنيا على الدين.

لعل شريح لو كان فعل ذلك لتغيّر التاريخ، لو قال للناس ان هـانيء حـي ولكنه في السجن وابن زياد يريد قتله ـ ولم يكن ابن زياد قد استولى على الأمور بعد ـ لهجموا وانقذوا هانيء واصبحوا أكثر قوة وشكيمة ولقبضوا على ابن زياد وقتلوه أو أخرجوه من هناك ولا ستتب امر الكوفة للـحسين عليه السلام، ولمـا وقـعت حادثة كربلاء! ولو لم تقع حادثة كربلاء لانتهى الأمر الى استلام الامام الحسين لزمام الحكم ولو ان هذا الحكم استمر تسعة اشهر، وربما كان يمتد لفترة أطول ـ لكانت له بركة كبيرة في التاريخ.

قد تؤدي حركة ما أحيانا الى تبديل وجه التاريخ وقد تقود حركة أُخرى مغلوطة وناتجة عن الخوف والضعف وحب الدنيا والحرص على الحياة الى جعل التاريخ يتمرغ في مهاوي الضياع. فأنت (يا شريح القاضي) لماذا لم تشهد بالحق حينما رأيت هاني على تلك الحالة؟ هذا هو دور الخواص الذين يفضّلون الدنيا على الدين.

حينما امر ابن زياد رؤساء القبائل ان يذهبوا ويعملوا على تفريق الناس من حول مسلم لماذا أطاعوا امره؟ فهم لم يكونوا بأجمعهم من الأمويين، ولم يكونوا قد قدموا من الشام، بل أن بعضهم كان ممن كتب الرسائل، الى الامام الحسين عليه السلام كـ«شبث بن ربعي» الذي كان قد كتب له رسالة ودعاه الى القدوم! هذا الرجل كان من جملة الذين امرهم ابن زياد بالسعي لتفريق الناس، فذهب وأخذ يثبط الناس ويستخدم اساليب التهديد والتخويف والاغراء وساهم في تفريق النـاس عـنه. لماذا فعلوا هكذا؟

لو أن شخصاً كشبث بن ربعي خشي الله في لحظة مصيرية بدلاً من خشية ابن زياد، لتبدّل وجه التاريخ! لكن هؤلاء انبروا لتثبيط النـاس فـتفرق العـوام. ولكن لماذا تفرق الخواص المؤمنون المحيطون بمسلم؟ مع انهم كان من بـينهم شخصيات خيّرة وصالحة وبعضهم سار في ما بعد الى كربلاء واسـتشهدوا فـي كربلاء قد كفّروا عن خطيئتهم تلك ونحن هنا نتحدث عنهم ولا نذكر اسـماءهم ولكن أيضاً كان من بينهم من لم يأت الى كربلاء! لم يستطيعوا أو لم يوفقوا، لكنهم انخرطوا في ما بعد في صفوف التوابين.

اثر التوابين في التاريخ

ولكن ما فائدة ذلك بعدما وقعت فاجعة كربلاء، وقـتل سـبط الرسـول، وبدأت حركة التاريخ بالانتكاس؟ ولهذا السبب كان عدد التوابين عدّة اضـعاف شهداء كربلاء. شهداء كربلاء صرعوا كلهم في يوم واحد، والتوابون صرعوا كلّهم في يوم واحد أيضاً ولكن تلاحظون ان الأثر الذي تركه التوابون في التـاريخ لا يعدل واحداً من الف مما خلّفه شهداء كـربلاء وذلك لأنـهم لم يـبادروا الى ذلك العمل في وقته ولأن تشخيصهم وقرارهم قد جاء متأخراً. لمـاذا تـركوا مسـلم وحده، بعدما جاء اليهم كمندوب عن الامام الحسين وبعدما بايعوه وأنـا هـنا لا أخاطب العوام بل أعني الخواص لماذا حينما جنّ عليه الليل تركوه يلتجىء الى دار طوعة؟!

تقاعس الخواص عن مناصرة مسلم بن عقيل

لو ان الخواص لم يتخلّوا عن مسلم، ولو وقف الى جانبه على سبيل المثال مائة رجل وآووه في دار احدهم ودافعوا عنه، ومسلم حتى حينما كـان وحـده

حينما أرادوا اعتقاله بقي يقاوم عدّة ساعات واستطاع بعد ان هجموا عليه عدة مرّات، ورغم كثرة عددهم ان يردهم على اعقابهم، ولو كان معه مائة رجل، هل كان بامكانهم القبض عليه؟! كلا لأن الناس سيهبون لنجدتهم.

اذن الخواص قصّروا هنا اذ لم يهبّوا لمؤازرة مسلم لاحظوا اينما تذهبون تصطدمون بموقف الخواص من الواضح ان قرار الخواص في الوقت المناسب، ورؤيتهم الصائبة للأمور في الوقت المناسب، واعراضهم عن الدنيا في اللحظة المناسبة، وموقفهم في سبيل الله في الفرصة المؤاتية هو الذي يستنقذ التاريخ ويصون القيم وهذا ما يوجب اتخاذ الموقف المناسب في اللحظة المناسبة اما اذا فات الأوان، فلا جدوى في ماوراء ذلك.

بعد الانتخابات التي جرت في الجزائر وفازت فيها الجبهة الاسلامية، سيطر الجيش على مقاليد الحكم بتحريض من امريكا وغيرها في اليوم الأول لمجيء حكومة العسكر الى السلطة، لم تكن لها اية قوة، فلو ان مسؤولي الجبهة الاسلامية قادوا الناس الى الشوارع منذ اليوم الأول وقد اعنلت لهم ذلك، حيث لم تكن الحكومة العسكرية يومذاك على درجة من القوّة، ولا قادرة على اي عمل لقضوا عليها ولأقاموا حكماً اسلامياً، ولكانت في الجزائر اليوم حكومة اسلامية ولكنهم لم يتخذوا قراراً كهذا، بعضهم أخذته الرهبة، والبعض الآخر انتابه الضعف والبعض قال: لنا الرئاسة، أو لهذا او لذاك!

الامام ﷺ وقراره الحاسم

عصر يوم الحادي والعشرين من بهمن عام ١٣٥٧ أُعلنت الأحكام العرفية في طهران، لكن الامام دعا الناس للنزول الى الشوارع ولو لم يتخذ الامام هذا القرار في تلك اللحظة لكان محمد رضا لا يزال يحكم هذا البلد. ولو ان الناس

حين اعلان الأحكام العرفية لزموا منازلهم، لبدأوا أول ما بدأوا بالامام ومن بعده مدرسة الرفاه ثم بقية المناطق، ولقضوا على كل شيء، ولكانوا قتلوا في طهران خمسمائة ألف شخص، وانتهى كل شيء! على غرار ما حصل في اندونسيا حيث قتلوا مليون شخص ثمّ عاد كلّ شيء إلى محله وبقي ذلك الشخص على رأس السلطة إلى اليوم، لشخصيته المبجّلة والمكرّمة ولم يتزحزح عن موضعه قيد انملة، غير ان الامام اتخذ القرار اللازم في اللحظة الحاسمة في موقعه.

لو ان الخواص شخّصوا ما ينبغي عمله في الظرف المناسب وطبقوا ذلك لتغير وجه التاريخ، ولما سيق امثال الحسين بن علي الى ميادين كميدان كربلاء. واذا كان الخواص قد اساءوا الفهم، أو أبطأوا في الفهم، أو فهموا ولكن اختلفوا كما هو الحال بالنسبة للأُخوة الافغان، وحتى اذا كان المتصدون للعمل كفوئين إلّا أن طبقة الخواص لم تتجاوب معهم، وقال احد افرادها نحن مشغولون حالياً وقال غيره لقد انتهت الحرب، دعونا نتفرّغ لأعمالنا ونكسب لقمة عيشنا وجمعوا خلال بضع سنوات امكانات هائلة واننا قد سئمنا القتال والتجوال بين هذه الجبهة وتلك، تارة في جبهة الغرب وتارة في جبهة الجنوب، اذا تصرف الخواص بهذه الصورة فاعلموا ان التاريخ ستتكرر فيه وقائع كواقعة كربلاء!

اين انتم؟ وهل انتم من الخواص ام من العوام؟

وعد الله تعالى بنصرة من ينصره، ان قام احد لله وبذل جهده يكون النصر حليفه لا بمعنى يكتب النصر لكل واحد من الاشخاص بل معناه ان اية جماعة عندما تتحرك تنال النصر، ومن الطبيعي ان مسارها تحفّه المصاعب والقتل والآلام، ولكن فيه انتصار أيضاً.

يقول الباري تعالى: ﴿**ولينصرن الله من ينصره**﴾ ولا يقول ننصركم دون

أن يُدمى أنف احدكم، لا أبداً، انما يقول ﴿فيقتلون ويقتلون﴾ ولكن ينتصرون هذه سنة الهيّة، حينما نخاف على دمائنا وعلى كرامتنا وعلى اموالنا، ولأجل عوائلنا وأحبائنا، وحينما نخشى على الراحة والمعيشة الوادعة ونحرص على الكسب والحصول على دار فارهة، عندما تُعيقنا امثال هذه الأمور عن الحركة، يصبح من الواضح حينها أنه حتى لو كان اسخاص كالامام الحسين تزعموا الطريق، لاستشهدوا عن آخرهم، مثلما استشهد امير المؤمنين عليه السلام وكما استشهد الحسين عليه السلام.

الخواص، الخواص، طبقة الخواص

انظروا يا أعزائي أين موقعكم؛ ان كنتم من الخواص ـ وانتم فعلاً منهم ـ، فحاذروا. هذا كل ما نريد قوله. من الطبيعي ان كلامنا هذا خلاصة لهذا الموضوع الذي يستدعي ان يُدرس في حقلين:

يتمثل الحقل الاول في الجانب التاريخي للقضية ولو كان امامي متسعاً من الوقت لبادرت اليه بنفسي ولكن مع الأسف لم يعد في الوقت متسع له، اذن يجب ان يُبحث لأجل العثور على امثله مما يحفل به التاريخ عن الخواص، والظروف التي كان ينبغي عليهم فيها المبادرة للعمل فلم يُبادروا، مع ذكر اسمائهم. ولو كان المجال يسمح الآن ولا يتعبني ويتعبكم، لتحدثت اليكم ساعة عن هذه المواضيع والاشخاص، ففي ذهني الكثير منها.

الوقائع التاريخية تتطابق مع كل زمان

اما الحقل الثاني الذي يجب البحث فيه فهو تطبيق ذلك على وضع كل زمان، لا في زمننا الحالي فحسب، وانما في كل زمن كان يجب به على الخواص

العمل بتكاليفهم لكنهم لم يعملوا بها وماذكرناه عن اجتناب انقيادهم لمغريات الدنيا، ويجب البحث في كيفية عدم الانقياد للدنيا، مع ذكر الأمثلة والمصاديق على ذلك.

يا أعزائي! ان السير في طريق الله له معارضون على الدوام ولو ان شخصاً من هؤلاء الخواص الذين تحدثنا عنهم أراد ان يقدم على عمل ـ ان هو اراد ـ ذلك لانبرى له جماعة آخرون من اولئك الخواص انفسهم باللوم والتعنيف والتقريع على موقفه ذاك. مثلما كانوا يفعلون في أيام ثورتنا لكن الخواص يجب عليهم ان يقاوموا، هذه احدى ضروريات جهاد الخواص، وهي الصبر على اللوم والتقريع، لأنهم يتلقون من المعارضين التهم والاساءات على الدوام.

اللهم اجعل خاتمة حياتنا قتلاً في سبيلك

اسأل الله ان يوفقكم جميعاً، وان يحشر روح الامام مع الانبياء والأولياء. وادعوه تعالى ان يثبت الشعب الايراني على هذا الطريق الواضح الذي وضع قدمه فيه.

اللهمّ أحينا لخدمة الثورة الاسلامية والقيم الاسلامية، وأمِتنا على هذا الطريق.

اللهمّ اجعل موتنا قتلاً في سبيلك، وارفع درجات شهدائنا الابرار يوماً بعد آخر.

اللهمّ تفضّل على مضحينا بالأجر الجزيل ومنّ عليهم بتمام الصحة والسلامة.

اللهمّ اجعل أعلى الدرجات لمن تحملوا المشقّة في هذا السبيل، ولمن

كانوا في الاسر مدّة من الزمن، واطلق سراحهم، ومَن لم يطلق سراحهم الى الآن، ولمن فُقدوا أو فقدت اجسادهم ولا أحد يعلم عنهم شيئاً، واكتب لعوائلهم الأجر والصبر.

اللهمّ بحق محمد وآل محمد أرنا عزتك وقدرتك في مذلة وهزيمة امريكا وسائر أقطاب الاستكبار واذنابهم، وأذق الشعب الايراني حلاوة الانتصار عليهم.

اللهمّ اقض حاجات المسلمين، وخلّص البلدان الاسلامية من مخالب الأجانب ومن براثن امريكا، وايقظ زعماء المسلمين من سبات الغفلة، واستنقذهم من مستنقع الشهوات.

اللهمّ وكما محوت الاتحاد السوفيتي، نسألك ان تمحو بقية اقطاب الاستكبار.

اللهمّ اشمل برحمتك وبركاتك كل من عاش ومات على هذا السبيل.

اللهمّ تقبّل بلطفك وكرمك كافة الأعمال والجهود.

تشخيص الحق والباطل المهمة الصعبة في حياة البشرية[1]

تعد قضية تمييز الحق عن الباطل من الامور الصعبة التي شهدتها حياة البشرية على مدى تاريخها وبالذات تاريخ النبوات، فالجميع تحدوهم الرغبة في اتباع الحق والعمل به ومجانبة الباطل سوى اولئك الذين اصبحوا حطباً لنار الغضب الالهي وتحولوا مظهراً للشيطان، ولان عامة الناس وذوي الالباب والمنصفين، ومن تحلّوا بالخصال الانسانية يرغبون اجتناب الباطل والتمسك بالحق، غير ان تشخيصه ليس بالامر الهيّن دائماً.

في احدى خطبه التي يبث فيها آلامه يصرح أمير المؤمنين عليه السلام بعبارة واضحة بهذا الامر فيقول: «... **فلو انّ الباطل خلَصَ من مزاج الحق لم يخفَ على المرتادين، ولو ان الحق خلَصَ من لبْس الباطل لانقطعت عنه السنُ المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغثٌ ومن هذا ضغثٌ فيُمزجان فهنالك يستولي الشيطان على اوليائه**»[2].

لقد تجرعنا مراراً عواقب الخلط بين الحق والباطل على مدى تاريخ الانبياء والتاريخ الاسلامي، ولعل احد الاسباب التي ادت الى طول فترة الاضطراب في هذا البلد ـ حيث استمر الوجود المؤذي للاستعمار لما لا يقل عن قرنين ـ ولم نستطع توجيه ضربة للمستعمر كي يرحل ولا يعود ثانية، هو هذا

---

(١) حديث الولاية: ٢ / ١٨٩ و ١٩٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٥٠

اللبس بين الحق والباطل وعدم وضوح الطريق امام الامة، من هنا فقد تجرع الشعب الايراني الصدمات جرّاء اللبس الذي حصل بين الحق والباطل سواء خلال الحركة الدستورية او ما سبقها وما تلاها من وقائع.

ولقد رفعت الحركة التي قام بها العلماء والامة بقيادة امامنا العظيم شعارات لم تدع مجالاً لان يختلط الحق بالباطل، فلقد حصل الفصل بينهما حينما عرفت الجماهير الحق تدريجياً على مدى خمسة عشر عاماً وميّزوه عن الباطل فانتصرت الثورة وبعد انتصارها لم يدع الامام﵀ واعلى الله كلمته ومقامه بما يجري في عروقه من دم عيسوي، ان يلتبس الحق بالباطل.

المعيار لمعرفة الحق والباطل

لو اصبح من المتيسر حصول الالتباس بين الحق والباطل حينها يستلزم وجود معايير لتشخيصهما، فلا امكانية في ان يترك الله سبحانه الناس دون معالم ودلالات، فما هو المعيار لتشخيص الحق والباطل؟ يجب التنقيب عن ذلك في القرآن الكريم والروايات وكلمات الاولياء والعظماء، فلابد من معرفة المعيار لتمييز الحق عن الباطل، وهنالك موارد ترد في الكتاب والسنّة تصرّح بان كل ما ترونه مطابقاً للشرع فهو حقٌ وكل ما كان مخالفاً للشرع هو باطل، وبالطبع هذا المقياس ليس متيسراً لجميع الناس وذلك لصعوبة تشخيص الشرع وما يخالفه.

التحجر واخطاء الخوارج الفظيعة[1]

مفهوم الخوارج وخطأ الخواص

لو فُقد التوجه في العبادة، وضُيّعت روح العبادة ـ وهي العبودية والانس بالله والتسليم له ـ، حينها سيتعرض الانسان الى اخطار شتى، احدها التحجر.

لقد كان بعض الخوارج ـ الذين كثيراً ما تسمعون بهم هذه الايام ـ يتعبد ويتلو الآيات القرآنية ويؤدي صلاته ما دفع اصحاب امير المؤمنين عليه السلام الى الوقوع تحت تأثيره، ففي معركة الجمل مر أحد اصحاب امير المؤمنين عليه السلام فوجد احدهم يتعبد في منتصف الليل ويتلو آيات القرآن بصوت حسنٍ: **﴿أمّنْ هو قانتٌ آناء الليل﴾**[2] فيعتريه الانقلاب ويأتي لأمير المؤمنين عليه السلام، فحتى الواعين والمقربين من امير المؤمنين عليه السلام كان هذا حالهم يقعون في الخطأ ايضاً.

الايمان والوعي وسيف علي عليه السلام

لم يكن عبثاً قول امير المؤمنين عليه السلام: لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس مَن طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فادركه.

فالامر كان يستدعي في الحقيقة سيف علي ووعيه وثقته بنفسه وبطريقه. فحتى خواصه كانوا يتزلزلون احياناً.

---

(١) حديث الولاية: ٤ / ١٣٦ ـ ١٣٩.
(٢) الزمر: ٩.

ورد في رواية انه عليه السلام قال لصاحبه الذي تقدم امره، ساخبرك غداً، ولما انجلت المعركة ولم يبقى من الخوارج غير عشرةٍ تخطى عليه السلام بين القتلى ـ ليكون في ذلك موعظة وعبرة لاصحابه ـ واخذ يخاطبهم، ولما وصل عند احدهم وكان ملقىً على وجهه فقال لاصحابه: اقلبوه، او لعله قال: اجلسوه، فالتفت الى صاحبه ذلك وقال: اتعرفه؟

قال: لا يا امير المؤمنين.

فقال عليه السلام: هو ذاك صاحبك الذي كان يقرأ القرآن بالامس!

أيُّ قراءة للقرآن هذه؟ اي تلاوة هذه؟ وايّ ضرب من العبادة؟ انها الابتعاد عن روح العبادة، فالذي يدرك روح العبادة والصلاة والقرآن يدرك بان لو كانت حقيقة الاسلام وجوهره ـ المتجسدان في علي بن ابي طالب ـ موجودة في جانب فهو يزيح الشبهات باسرها عن وجوده ويلتحق به، وماهو إلّا الابتعاد عن الدين والقرآن حيث يعجز المرء عن تشخيص هذا الامر وبالتالي يشهر السيف بوجه علي عليه السلام.

اذن القضية تمثل في احد جانبيها التحجر والبلادة والاخطاء الفظيعة التي نشاهدها خلال فترة حكم بني امية وبني العباس. فلقد كان البعض يعد من المقدسين والمتدينين والعبّاد والزهاد ودوّنت اسماؤهم في عداد تلك الفئات، غير انهم كان يرتكبون الاخطاء التي تصل مستوى الخلط بين جبهة الحق وجبهة الباطل وهذا من اعظم الاخطاء، فهنالك اخطاء يمكن تجاوزها، اما التي لا يمكن تجاوزها فهي الخلط بين جبهة الحق وجبهة الباطل وفقدان المقدرة على التمييز بينهما.

خواص علي ﷺ لم يُخطئوا ابداً

لقد كانت عظمة عمار وامثاله وخواص امير المؤمنين ﷺ تكمن في انهم لم يصابوا بالاشتباه في كل الاحوال ولم يُخطئوا المسير ، ولقد لمستُ هذه العـظمة في مواضع متعددة من معركة صفين وهذا ـ بـالطبع لا يـختص بـصفين . فـفي الموارد التي يتعرض المؤمنون للالتباس كان هنالك مَن تـحلّى بـنفوذ البـصيرة وفصاحة البيان فيزيل ما علق بالاذهان من شبهات .

انه عمار بن ياسر ، فلطالما يلمس المرء على مر الحوادث التي تعرض لها امير المؤمنين ﷺ ومنها صفين آثار وجود هذا الرجل العظيم الواضح الرؤية .

استمرت معركة صفين شهوراً ، وكانت معركة عـجيبة ، اذ يشـاهد النـاس الطرف المقابل لهم وهم يؤدون الصلاة ويتعبدون ويتلون القـرآن بـل ويـرفعون المصاحف على رؤوس الحراب ، وهذا ما يستدعي قلوباً جريئة كي يشهر المرء سيفه بوجه هؤلاء .

ورد في رواية عن الامام الصادق ﷺ لو ان امير المؤمنين ﷺ لم يقاتل اهل القبلة لبقي التكليف فيما يخص الطغاة والعاصين منهم مجهولاً الى الابد . انه علي بن ابي طالب الذي فتح هذا الطريق واوضح ما يجب فعله .

عندما كان ابناؤنا يشنّون هجماتهم في بعض خـنادق الجـبهة ويأسـرون افراد العدو يعثرون في مواضعهم على (مسبحات وترب حسينية) نـعم فـمثلهم كمثل الذين وقفوا بوجه امير المؤمنين ﷺ وهم يؤدون الصلاة ، فكانت النتيجة ان وقع البعض في الفتنة . فكان عمار بن ياسر ينجدهم ، فهنا يستدعي الامر وعـياً وذكاءً وشخصاً كعمار بن ياسر .

اذا لم تتضح امام العبد روح الاعمال والعبادات ـ وهي عبارة عن التوجه الى الله وعبوديته ـ ولم يسع الانسان الى التقرب الى الله في جميع اعماله ، فـان عمله هو علم سطحي ، وكل ايمان وعمل سطحي يتعرض للـخطر عـلى الدوام

وهذا مالمسناه على امتداد التاريخ الاسلامي.

دواعي القوة في جبهة الباطل

سبقت منّي الاشارة ان البعض من المتدينين والقـديسين والزهـاد كـانوا يحضرون عند بعض الخلفاء الظلمة الفـجرة مـمن تـلوثوا بـالخبث والتـدليس وتلبّسوا بعشرة وجوه، فيقدّمون لهم النصائح والمواعظ فيتأثرون لذلك اما رياءً وزيفاً او ان قلوبهم تهتز، او ان بعضهم كان في حالة سكر وهو على هذه الحـالة تتملّكهم حالة من الاثارة، والاحساس، او انهم يبكون لكلام البعض ولكن مـا يلبث هؤلاء السذّج ـ برغم علمهم الظاهرين في الدين ـ ان ينضموا الى حاشية الخليفة!

ويلمس المرء اموراً عجيبة في التاريخ الاسلامي، ومن ذلك «عمرو بـن عبيد» المعروف بعبادته وزهده الذي قال الخليفة العباسي بحقه «كلّكم يـمشي رويداً، كلكم يطلب صيداً غير عمرو بن عبيد»، اي ان عمرو بن عبيد يختلف عن سائر الذين يدّعون التقوى والزهد، واذا مالاحظتم هذا الرجل ومحمد بن شهاب الزهري، ومن هم على شاكلتهما تجدون انهم من بين الذين مارسوا التشـويش ضد جبهة الحق اذ كانوا يدعمون جبهة الباطل ويسندوها فيما يدعون الحق ـ اي اهل بيت النبوّة ـ وحيداً مقهوراً. ونتيجة لهذا الجهل كانت يـد العـدو تـمتد مـن خلالهم.

جوهر العبودية تحطيم الصنم الداخلي

ان روح العبادة هو التعبد لله، وعلينا ايها الاخوة والاخوات السعي لاحياء روح العبودية في داخلنا، اي التسليم لله سبحانه، اي تحطيم الصنم الكامن فـي داخلنا.

الغفلة والالتباس يحبطان الصالحات[1]

السر في عمل الامام

ان السر الذي يكمن في فعل الامام الذي استولى على القلوب وحركها وقلب الدنيا ، هو سيره الدؤوب نحو الكمال ، وانني وامثالي نواجه مشكلة في فهم ذلك والعمل به ، وان النطق به سهلٌ على اللسان ، إلّا أن العمل به صعب مستصعب ، ونحن عاجزين عن فهم هذه العبارة ، إلّا انه عمل بها ، لا تتصوروا ان الامام الذي رحل الى جوار ربه عام ١٣٦٨ هـ . ش هو نفسه الذي حلّ في طهران عام ١٣٥٧ هـ. ش كلا فلقد تقدم الامام كثيراً الى الامام ومضى قدماً وسمى كثيراً.

صحيح اننا نعجز عن ادراك مراتب امثال ذلك العظيم ، لكن الانسان الذي ينظر من الاسفل يرى القمّة التي يحلّق فيها ، واني أُشهد الله عندما كنت ازور الامامﷺ بعد كل شهر رمضان اشعر انه ارتقى كثيراً عمّا سبق وابتعد كثيراً عن الامور الماديّة ، فلقد كان يتقدم ويتكامل يوماً بعد يوم ، وهكذا هو المؤمن ، «مَنْ **تساوى يوماه فهو مغبون ومن كان غده اسوء من يومه فهو ملعون**»[2] .

الأعمال الطالحة تحبط الايمان

هنالك الكثيرون ممن ضربوا بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ لكنهم لم

---

(١) حديث الولاية : ٦ / ٢٤٨ ـ ٢٥١.
(٢) بحار الانوار : ٧٠ / ١٧٣.

يستطيعوا الحفاظ على تاريخهم. ولقد قال امير المؤمنين عليه السلام بحق سيف ذلك الرجل الذي طالما قاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكنه قُتل في احدى الحروب: لطالما كف هذا السيف الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكان هذا السيف نفسه قد شُهر بوجه علي بن ابي طالب! فلابد من المحافظة على السوابق، فنحن نتعرض للاحباط ايضاً ﴿**اولئك حبطت اعمالهم**﴾[1] اي ان اعمالهم ذهبت ادراج الرياح، فلا تتصوروا اننا اذا قمنا بعملٍ صالحٍ ووضعناه في سجلّنا انه سيبقى حتى لو ارتكبنا فعلاً سيئاً، كلا، فالعمل الطالحً يذهب بالعمل الصالح عند الوقوف بين يدي الله سبحانه، ولعل العمل والحركة السيئة تذهب باصل الايمان احياناً ﴿**ثم كان عاقبة الذين اسأووا السوأى ان كذّبوا بآيات الله**﴾[2].

وهنالك بيننا مثل هؤلاء، فانني اعرف اناساً قاموا باعمال صالحة لكنهم ونتيجة للغفلة والاشتباه والطموح والتصور بان حقاً قد سُلب منهم ابتعدوا وانهاروا، انها ثغرة تُفتح عن الصراط المستقيم وهي خطيرة للغاية، وهي وان كانت صغيرة لكنها تتسع تدريجياً وتزداد بعداً عن الصراط كلما تقدمت الى الامام، وقد وصل بهم الامر ان يقوموا باعمال مناهضة للاسلام والثورة والنظام الاسلامي، ولقد كانوا يوماً ما يخدمون الاسلام والثورة.

من الذي يستحق اللوم؟

يتصور البعض ان الثورة هي التي يجب ان تلام لانها لم تحافظ على

(١) التوبة: ٦٩.
(٢) الروم: ١٠.

هؤلاء، كلا، ان الامر ليس كذلك، بل ﴿فلا تلوموني ولوموا انفسكم﴾[1] فلامنّة لمن اسلم على الاسلام وكذا لا منّة للثوري على الثورة، يقول تعالى مخاطباً نبيه ﷺ ﴿**يمنّون عليك ان اسلموا قل لا تمنّوا عليّ اسلامكم بل الله يمكن عليكم ان هداكم للايمان**﴾[2] فلله المنّة علينا جميعاً حيث هدانا.

كم هم الضالون واسرى النفس في عالمنا اليوم، وكم من الشباب في عالمنا الذي يصطلح عليه المتحضر من يشاكل الحيوان فلا يعرف شيئاً سوى حاجاته المادية الدنيئة، فالحيوان لا يتجاوز ذلك، فيما الانسان يدرك هدفه من خلال المنطق والعقل والعواطف السليمة النزيهة ومن ثم يتحرك باتجاهه بكل وجوده مزيحاً العراقيل التي تقف في طريقه، وامريكا واوربا والدول الخاضعة للظلم تعج بمثل هؤلاء الشباب.

يجب الحفاظ على الاسلام

عليكم شكر الله لانه هداكم للايمان الناصع والتوحيد الاصيل، فلقد منحنا الله سبحانه الشخصية، والاستقلال، فالقوى التي تتزعم العالم االيوم لا عبودية فيها لله، بل انها ترى البشر عبيداً لها، والبشر قد ارتضوا ذلك، وانها لا تخشى إلّا الذي لا يخضع لها مهما كلّف الأمر، وانكم لم تكونوا كذلك بل الاسلام هو الذي جعلكم وعليكم معرفة قدر الاسلام اذن علينا ان لا نتصور ان ما انجزناه سيدوم لنا بل لابد من المحافظة عليه.

---

(١) ابراهيم: ٢٢.
(٢) الحجرات: ١٧.

مسك الختام

في رثاء سيد الشهداء عليه السلام[1]

السلام عليك يا ابا عبد الله

بودي اليوم ان اقرأ عليكم مقتطفات من كتاب «اللهوف» لابن طاووس، ونستعرض بعض تلك المشاهد العظيمة، وهذا الكتاب معتبر جداً ومصنّفه السيد علي بن طاووس وهو عالم فقيه وعارف صدوق وموثّق وموضع احترام لدى الجميع، وهو استاذ لفقهاء كبار، وكان اديباً وشاعراً وذا شخصية بارزة، ولقد كتب اول مقتل معتبر وموجز، وسبقت كتاب اللهوف كتب كثيرة في مقتل الحسين عليه السلام وحتى استاذه «ابن نما» كان له كتاب في المقتل، وكذا الشيخ الطوسي، إلّا انه بكتابته لـ «اللهوف» غطّى على سائر كتب المقاتل وذلك لقيمته والدقة والايجاز في اختيار عباراته.

خروج القاسم بن الحسن عليه السلام

من المشاهد الذي يصورها هي خروج القاسم بن الحسن الى الميدان، وهو من المشاهد العجيبة للغاية، فقد كان القاسم فتىً لم يبلغ الحلم، وفي ليلة العاشر من المحرم أعلم الحسين عليه السلام اصحابه بأن المعركة واقعة لا محالة وانهم سيقتلون بأجمعهم، ثم اذن لهم بالانصراف غير انهم أبوا ذلك، سأل هذا الفتى ذو

(١) من خطبة صلاة الجمعة في طهران بتاريخ ١٨ / ٢ / ١٣٧٧ هـ. ش.

الثالثة عشر أو الرابعة عشر من العمر عمّه الامام الحسين عليه السلام : هل انه سيُقتل في ساحة المعركة أيضاً؟ فاراد الحسين عليه السلام ان يختبره ـ وفق تعبيرنا ـ قائلاً له : كيف ترى الموت؟ قال : احلى من العسل.

لاحظوا : هذه هي طبيعة القيم التي كان يتحلى بها اهل البيت عليهم السلام ومن تربى في حجورهم، فهذا الفتى ترعرع منذ نعومة اظفاره، اذ ان عمره كان حين استشهاد ابيه ثلاث او اربع سنوات، فتكفل الامام الحسين عليه السلام تربيته، وفي يوم العاشر من المحرم وقف هذا الفتى الى جانب عمّه، ويذكر صاحب هذا المقتل :

«قال الراوي : وخرج غلام كأن وجهه شقّة قمر وجعل يقاتل».

لقد دوّن الرواة احداث يوم العاشر ووقائعه بتفاصيلها فذكروا اسم مَنْ ضرب ومَنْ ضُرب، واول مَنْ ضرب ورمى، ومَنْ سلب وسرق، فذكروا اسم سارق قطيفة ابي عبد الله عليه السلام فبقي يُطلق عليه فيما بعد «سارق القطيفة»، فيتضح ان اهل البيت عليهم السلام ومحبيهم لم يدعوا هذه الواقعة تضيع في مجاهل التاريخ.

يقول الراوي : «فضربه ابن فضيل الازدي على رأسه ففلقه فوقع الغلام بوجهه، وصاح يا عمّاه، فجل الحسين عليه السلام كما يجعل الصقر وشدّ شدة ليث اغضب فضرب ابنّ فضيل بالسيف فقتله وحمل اهل الكوفة لينقذوه فقاتلهم الحسين عليه السلام» ودارت معركة عند مصرع القاسم فهزمهم الحسين عليه السلام.

قال الراوي : «وانجلت الغبرة فرايت الحسين عليه السلام قائماً على رأس الغلام وهو يفحص برجله، والحسين يقول : بُعداً لقومٍ قتلوك» انه مشهد يدمي قلب الانسان، وهو منظر عجيب للغاية يعكس رقة قلب الحسين وحبّه لهذا الفتى من

جهة، وتضحيته اذ اذن له بالنزول الى ساحة المعركة، وعظمة روح ذلك الفتى وقساوة الاعداء التي جعلتهم يتصرفون معه بهذا السلوك من جهة اخرى.

توجه علي الاكبر عليه السلام الى الميدان

وثمة مشهد آخر هو بروز علي الاكبر عليه السلام للقتال، وهو مشهد مثير حقاً من جميع ابعاده، فهو مثير من جانب الامام الحسين عليه السلام، ومثير من جانب هذا الشباب نفسه، ومثير من جانب النساء وبالذات عمّته زينب الكبرى، ولقد ورد ان علياً الاكبر كان بين الثامنة عشر الى الخامسة والعشرين من عمره.

قال الراوي: خرج علي بن الحسين وكان اصبح الناس وجهاً واحسنهم خلقاً فاستأذن اباه في القتال فاذن له، ويروى انه عليه السلام لما اراد القاسم بن الحسن الخروج لم يأذن له إلّا بعد الحاح الغلام، اما بالنسبة لعلي بن الحسين، بما انه ابنه فقد اذن له بمجرد استئذانه «ثم نظر اليه نظرة آيسٍ منه وارخى عليه السلام عينيه وبكى».

هذه احدى المزايا العاطفية التي تطبّع بها المسلمون، حيث ذرف الدموع عند المواقف والاحداث المثيرة للعواطف، اذ تشاهدون انه عليه السلام بكى في مواقف متعددة، وبكاؤه هذا لم يكن عن جزع بل لشدة العاطفة، والاسلام ينمّي هذه العاطفة عند الانسان. ثم قال عليه السلام عليهم السلام **«اللهم اشهد فقد برز اليهم غلام اشبه الناس خلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك»**.

وهنا أُريد ان ابين لكم مسألة هي ان الحسين عليه السلام كان في فترة طفولته محبوباً لدى النبي عليه السلام، وهو بدوره كان يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حباً جمّاً، وعند رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان عمره عليه السلام ست او سبع سنوات، فبقيت صورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عالقة في ذهنه وحبّه متجذر في اعماق فؤاده، ولقد رزقه الله فيما بعد بعلي الاكبر، ومضت الايام وشبّ فاذا به يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تماماً فترسخ حبّه في

فؤاد الحسين كما كان يحب النبي ﷺ، فكـان الفـتى يشبه النـبي فـي شكـله وشمائله وفي صوته وكلامه واخلاقه، ويحمل ذات الكرم وشرف المحتد.

ثم قال عليه السلام: «**وكنا اذا اشتقنا الى نبيك نظرنا اليه**» ثم صاح الحسين عليه السلام: «**يابن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي**»، وتقدم علي الاكبر نحو القوم فقاتل قتالاً شديداً وقتل جمعاً كثيراً، ثم رجع الى ابيه وقال: «**يا أبه العطش قد قتلني وثقل الحديد اجهدني، فهل الى شربة ماءٍ من سبيل**»؟

فقال له الحسين عليه السلام: «**قاتل قليلاً فما اسرع ما تلقى جدّك محمداً ﷺ فيسقيك بكأسه الاوفى شربة لا تظمأ بعدها**» فرجع الى ساحة القـتال وقـاتل فابلغ في القتال، وبعد ان ضُرب نادى: «**يا ابتاه عـليك السـلام، هـذا جـدي يقرؤك السلام ويقول لك عجّل القدوم علينا**».

حركة الحسين عليه السلام انقاذ للتاريخ

انها مشاهد مروعة من تلك الواقعة الخالدة، وجرت في مثل هذا اليـوم ـ الحادي عشر من محرم ـ الذي هو بمثابة يوم زينب الكبرى عليها السلام مصائب مفجعة، فهي قد اخذت على عاتقها منذ اللحظة التي استشهد فـيها الحسـين عليه السلام ثـقل الامانة، وقطعت ذلك الشوط بكل شجاعة واقتدار، وكما هو خليق بـبنت امـير المؤمنين عليه السلام. لقد ساروا جميعاً بهذا الطريق، واستطاعوا تخليد الاسلام وصيانة معالم الدين، ولم تكن واقعة الطفوف استنقاذاً لحياة امة او قوم فـحسب، وانـما كانت استنقاذاً للتاريخ بأكمله. فالامام الحسين واخته زينب واهل بيته واصحابه انقذوا التاريخ بموقفهم البطولي ذاك.

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الارواح التي حلّت بفنائك.. عليك منّي سلام الله ابداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد منّي

لزيارتك... السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى اولاد الحسين وعلى اصحاب الحسين...

اللهمّ انا نُقسم عليك بمحمد وآل محمد ان تثبت اقدامنا على دينك وبما جاء به كتابك.

اللهمّ اجعل مجتمعنا مجتمعاً اسلامياً.

اللهمّ لا تفرق بيننا وبين الاسلام.

اللهمّ انصر الاسلام والمسلمين في كل ارجاء المعمورة، واخذل اعداء الاسلام.

اللهمّ انشر بيننا قيم الاسلام واواصر الاخوة والمحبّة والعبودية لك والعدل الشامل.

اللهمّ ابعد عن رحمتك كل من يسعى من الاعداء لعزل مجتمعنا عن الاسلام.

اللهمّ أرضِ قلب ولي العصر ارواحنا فداه عنا واجعلنا من انصاره واعوانه واستجب دعاءه بحق شعبنا.

اللهمّ تلطّف برحمتك على شهدائنا الاعزاء، وعلى امام الشهداء عليه السلام، وعلى جميع المضحين.

المحتويات

الفصل الأوّل

شخصية الامام الحسين عليه السلام وواقعة عاشوراء

الفصل الثاني

دروس عاشوراء

الفصل الثالث

عِبَر عاشوراء